سلسلة العقائد السلفية

٣



فأمه هاوية

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية - عابدين القاهرة

ت : ٣٩١١٣٩٧ - فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

مكتبة التراث الإسلامي



تأليف

الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي



مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة   ت : ٣٩١١٣٩٧   فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد للَّه ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مُضِلّ له ، ومن يُضلِلْ فلا هادىَ له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب] .

وبعد ... فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه تعالى ، وخير الهدْيِ هدىُ محمدٍ ﷺ ، وشر الأمور مُحْدَثَاتُها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار[1] .

---

(١) هذه هى خطبة الحاجة التى كان رسول اللَّه ﷺ يفتتح بها خطبه ومواعظه ، انظر رسالة الشيخ الألبانى « خطبة الحاجة » .

سبب التأليف :

لما رأيت قوافل الرفض المشئومة ، وجراد العذاب تُحلِّق في أجواءَ من الدخان الناتج عن احتراق مزابل من الجِيَفِ ضاربة أطنابها في القدم وهي مستنقع روافده ، جمعت كل أجناس النجاسات والقاذورات ، ويطيب لكثير من الهوام العفنة ألا تتنفس إلا في هذه الأوحال ، وتَسبح في هذه البحار المحظورة التي حذر منها كل معافى ، فخفت على الشباب في بلاد المغرب الذي عافاه اللّه من هذه الكوارث التي حلت بغيره من بلاد المشرق وإن كان بعض مخلفات الرفض طار شررها إلى هذا البلد وذلك بحكم التناسب الصوفيّ . وعادة المذاهب الهدامة تغير على البلاد التي في عافية من أمرها وسيّما في غياب السُّنة وموت أهلها .

جمعت هذا الجزء المبارك لعلهُ يكونُ وقايةً وحمايةً لشباب المغرب - خاصة - وباقي الشباب في بقية البلاد .

واللّه أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه ، وأن يكون شفاعة عند لقائه ؛ إنه سميع مجيب .

أبو سهل

محمد بن عبد الرحمن المغراوي

تعظيم قدر الصحابة

أولاً : من القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

قال ابن الجوزى رحمه الله : « وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور »[١] اهـ .

قال القرطبى رحمه الله : « قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أى : وعد الله هؤلاء الذين مع محمد وهم المؤمنون الذين أعمالهم صالحة ﴿ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ أى : ثوابًا لا ينقطع وهو الجنة ، وليست « من » فى قوله : ﴿ مِنْهُم ﴾ مبعّضة لقوم من الصحابة دون قوم ، ولكنها عامة مجنسة مثل قوله تعالى : ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ ﴾ [الحج : ٣٠] . لا يقصد للتبعيض ؛ لكنه يذهب إلى الجنس ، أى فاجتنبوا الرجس من جنس الأوثان ، إذ كان الرجس يقع من أجناس شتى ، منها الزنا والربا وشرب الخمر والكذب ، فأدخل « من » يفيد بها الجنس وكذا « منهم » أى : من هذا الجنس ، يعنى جنس الصحابة »[٢] اهـ .

وقال ابن إدريس رحمه الله : « لا آمن أن يكونوا قد ضارعوا الكفار - يعنى الرافضة - لأن الله تعالى يقول : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[٣] . اهـ .

---

(١) فى تفسيره [٧/١٧٣] .

(٢) فى تفسيره [١٦/٢٨٢] .

(٣) تفسير ابن الجوزى [٧/١٧٥] .

قال أبو عروة الزبيرى رحمه اللَّه : « كنا عند مالك فذكروا رجلًا ينتقص أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، فقرأ مالك هذه الآية : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴾ .

فقال مالك : من أصبح وفى قلبه غيظ على أصحاب محمد عليه السلام فقد أصابته الآية (١) .

ونقل القرطبى هذا الأثر وعزاه للخطيب ثم قال : « لقد أحسن مالك فى مقالته وأصاب فى تأويله فمن نقص واحدًا منهم أو طعن عليه فى روايته فقد رد على اللَّه رب العالمين ، وأبطل شرائع المسلمين »(٢) .

قال اللَّه تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٨، ١٠] .

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه فى « منهاج السنة » [١٨/٢-١٩] : « وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار ، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون اللَّه أن لا يجعل فى قلوبهم غِلًّا لهم ، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفىء .

---

(١) رواه الخلال [٤٧٨] ، وأبو نعيم [٣٢٧/٦] وذكره ابن الجوزى مختصرًا [١٧٥/٧] فى تفسيره .

(٢) تفسير القرطبى [٢٨٣/١٦] .

ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة ، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين ، وفي قلوبهم غِلٌّ عليهم . ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السُّنَّةِ الذين يتوَلَّوْنَهم ، وإخراج الرافضة من ذلك ، وهذا نقيض مذهب الرافضة .

وقد روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر قال : حدثنا عبد اللَّه بن زيد عن طلحة ابن مصرف ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن أبي وقاص قال : الناس على ثلاث منازل ، فمضت منزلتان وبقيت واحدة ، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ، ثم قرأ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت .

ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

ثم قال : هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت .

ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٨، ١٠] . فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة ، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا اللَّه لهم .

وروى أيضًا بإسناده عن مالك بن أنس رضي اللَّه تعالى عنه قال : من سب السلف فليس له في الفيء نصيب ، لأن اللَّه تعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ الآية . اهـ .

قال ابن أبي العز رحمه اللَّه : « فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين وسادات أولياء اللَّه تعالى بعد النبيين ؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة ، قيل لليهود : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى ، وقيل للنصارى : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب عيسى ، وقيل للرافضة : من شر

أهل ملتكم ؟ قالوا أصحاب محمد !! لم يستثنوا منهم إلا القليل ، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة »(١) . اهـ .

قال الشوكاني رحمه الله : « أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق ، فيدخل في ذلك الصحابة دخولًا أوليًا لكونهم أشرف المؤمنين ، ولكون السياق فيهم ، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية ، فإن وجد في قلبه غلًّا لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخير أمة نبيه ﷺ وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلى الله سبحانه والاستغاثة به ؛ بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة ، فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم ، فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه ، وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمعلم من الرافضة أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة ، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وعن سنة رسول الله ﷺ المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور ، فاشتروا الضلالة بالهدى ، واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر ، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة ، ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين ، وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين ، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر ، والله من ورائهم محيط »(٢) اهـ .

---

(١) شرح الطحاوية [٤٧٠] .

(٢) تفسير الشوكاني [٥/٢٨٧-٢٨٨] .

قال ابن كثير رحمه اللَّه : « وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه اللَّه من هذه الآية الكريمة أن الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له فى مال الفىء نصيب لعدم اتصافه بما مدح اللَّه به هؤلاء »[1] اهـ .

ولفظه عند اللالكائى قال الإمام مالك : « من سب أصحاب رسول اللَّه ﷺ فليس له فى الفىء حق ، يقول اللَّه عز وجل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ الآية ، هؤلاء أصحاب رسول اللَّه ﷺ الذين هاجروا معه ، ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ ﴾ الآية ، هؤلاء الأنصار ؛ ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ ، فالفىء لهؤلاء الثلاثة ، فمن سب أصحاب رسول اللَّه ﷺ فليس من هؤلاء الثلاثة ولا حق له فى الفىء » اهـ .

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى : « وهذا معروف من مالك وغير مالك من أهل العلم كأبى عبيد القاسم بن سلّام ، وكذلك ذكره أبو حكيم النهروانى من أصحاب أحمد ، وغيره من الفقهاء »[2] ا.هـ .

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد اللَّه بن إبراهيم بن قدامة اللخمى عن أبيه عن جده عن محمد بن على عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما ، ثم ابتدأوا فى عثمان فقال لهم : أخبرونى أأنتم من المهاجرين الأولين ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الحشر : ٨] قالوا : لا ، قال : فأنتم من الذين : ﴿ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر : ٩] .قالوا : لا ، فقال لهم : أما أنتم

---

(١) تفسير ابن كثير [٣٣٩/٤] . وقد رواه الحميدى فى أصول السنة بذيل المسند [٥٤٦/٢] واللالكائى [١٣٤٤/٧-١٣٤٥] وابن أبى زمنين فى أصول السنة [ص : ٢٦٩] وأبو نعيم فى الحلية [٣٢٧/٦] .

(٢) منهاج السنة [٢٠/٢] .

فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال اللَّه عز وجل فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر : ١٠] . الآية ، فقوموا عنى لا بارك اللَّه فيكم ، ولا قرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله [١] .

واستحق الروافض الأخباث الأنجاس هذه العقوبة لأنهم وقعوا فى أعراض أفضل الأمم بعد الأنبياء وحملة الشريعة الغراء إلى أقاصى البلاد الذين بذلوا فى سبيل ذلك الغالى والنفيس ؛ فالطاعن فيهم طاعن فى الدين وبعيد عن سبيل المؤمنين ، سالك لسبيل المعتدين المجرمين ، واقع فى حبائل الغوى المبين مُتوعَّدٌ بالعذاب المهين .

ورحم اللَّه شيخ الإسلام إذ يصف سوء حالهم فيقول عنهم : « أمة ليس لها عقل صريح ولا نقل صحيح ، ولا دين مقبول ، ولا دنيا منصورة بل هم من أعظم الطوائف كذبًا وجهلًا ، ودينهم يدخل على المسلمين كل زنديق ومرتد كما دخل فيه النصيرية والإسماعيلية وغيرهما . فإنهم يعمدون إلى خيار الأمة يعادونهم وإلى أعداء اللَّه من اليهود والنصارى والمشركين يوالونهم ، ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه ، وإلى الكذب المختلق الذى يُعلم فسَادُه يقيمُونه ؛ فهم كما قال فيهم الشعبى - وكان من أعلم الناس بهم - لو كانوا من البهائم لكانوا حمرًا ، ولو كانوا من الطير لكانوا رخمًا ، ولهذا كانوا أبهت الناس وأشدهم فرية مثل ما يذكرون عن معاوية ، فإن معاوية ثبت بالتواتر أنه أمره النبى ﷺ كما أمر غيره وجاهد معه وكان أمينًا عنده يكتبُ له الوحى ؛ وما اتهمه النبى ﷺ فى كتابة الوحى ، وولاهُ عمر بن الخطاب الذى كان من أخبر الناس بالرجال ، وقد ضرب اللَّه الحق على لسانه وقلبه ولم يتهمه فى ولايته [٢] .

---

(١) البداية والنهاية [٩/١١٢] .

(٢) الفتاوى [٤/٤٧١-٤٧٢] .

وقال تلميذه شيخ الإسلام الثانى ابن القيم رحمه اللّٰه تعالى بعدما ذكر الجهمية والفرعونية والباطنية : « والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ، ومن حبل اللّٰه منقطعون ، وعلى مسبة أصحاب رسول اللّٰه عاكفون ، وللسنة وأهلها محاربون ، ولكل عدو للّٰه ورسوله ودينه مسالمون ، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون ، أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين ، وأعداء الرسول وحزبه »[1] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ١٠] .

والحسنى هى الجنة كما ورد ذلك مرفوعًا وموقوفًا من طرق كثيرة مستفيضة [2] .

واستدل ابن حزم رحمه اللّٰه بقوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أن جميع الصحابة بدون استثناء من أهل الجنة مقطوع بذلك[3] .

ورضى اللّٰه عنهم من فوق سبع سماوات فى قوله : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] . وفى قوله : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

---

(١) حادى الأرواح [١٩٦] .

(٢) انظر تفسير ابن جرير [١٠٤/١١] وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى [٥٠٤/٣] وما بعدها ، والسنة لعبد اللّٰه بن أحمد بن حنبل [٢٤٣/١] وما بعدها ، وحادى الأرواح لابن القيم [١٩٩] ، والدر المنثور [٣٥٦/٤] وما بعدها ، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتانى [١٥٥] .

(٣) الفصل [١٤٨/٤-١٤٩] .

قال البغوى رحمه اللَّه تعالى : « قال أبو صخر حميد بن زيادة : أتيت محمد ابن كعب القرظى فقلت له : ما قولك فى أصحاب رسول اللَّه ﷺ ؟ فقال : جميع أصحاب رسول اللَّه ﷺ فى الجنة محسنهم ومسيئهم ، فقلت : من أين تقول هذا ؟ قال : اقرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى أن قال : ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ . اهـ .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى : فقد أخبر اللَّه العظيم أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبى قحافة رضى اللَّه تعالى عنه ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذًا باللَّه من ذلك ؛ وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى اللَّه تعالى عنهم ، وأما أهل السُّنةِ فإنهم يترضون عمن رضى اللَّه عنه ويسبون من سبه اللَّه ورسوله ، ويوالون من يوالى اللَّه ، ويعادون من يعادى اللَّه ، وهم مُتَّبِعُون لا مُبْتَدِعُون ويقتدون ولا يبتدون ، ولهذا هم حزب اللَّه المفلحون وعباده المؤمنون »[١] اهـ .

قال ابن تيمية رحمه اللَّه : « والرضى من اللَّه صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبدٍ علم أنه يوافيه على مُوجِبات الرضى . ومن رضى اللَّهُ عنه لم يسخط عليه أبدًا .. - إلى أن قال - فكل من أخبر اللَّه عنه أنه رضى عنه فإنه من أهل الجنة ، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح ؛ فإنه يذكر ذلك فى معرض الثناء عليه والمدح له ، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك »[٢] اهـ .

---

(١) فى تفسيره [٢/٣٦٧] .

(٢) الصارم المسلول [٥٧٤-٥٧٥] .

وقال ابن حزم رحمه اللَّه تعالى : « أخبرنا اللَّه عز وجل أنه علم ما فى قلوبهم ورضى عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف فى أمرهم ولا الشك فيهم البتة »[1] اهـ .

وقال ابن عبد البر رحمه اللَّه تعالى : « وروى السدى عن أبي مالك عن ابن عباس في قول اللَّه عز وجل : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل : ٥٩] . قال أصحاب محمد ﷺ . وقاله السدى والحسن البصرى وابن عيينة والثورى »[2] اهـ .

ومثله أيضًا فى تفسير ابن جرير[3] .

والآيات القرآنية فى مدحهم وتعظيم قدرهم كثيرة منها أيضًا :

قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . فمن المخاطب وقت نزول الآيتين غير الصحابة ؟ فهم المخاطبون بذلك خطابًا أوليًا ، فثبتت خيريتهم رضى اللَّه تعالى عنهم على كافة الناس غير الأنبياء وجعلهم اللَّه شهداء على الناس يوم القيامة لفضلهم وشرفهم وعلو منزلتهم .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ [التحريم : ٨] .

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى : « وفى الجملة كل ما فى القرآن من خطاب المؤمنين والمتقين والمحسنين ومدحهم والثناء عليهم ، فهم – أى الصحابة – أول من دخل فى ذلك من هذه الأمة ، وأفضل من دخل فى ذلك من هذه الأمة »[4] اهـ .

---

(١) الفصل [٤/١٤٨] .
(٢) الاستيعاب [١/١٣] .
(٣) تفسير ابن جرير [٢/٢٠] .
(٤) منهاج السنة [٢/٤٩-٥٠] .

ثانيًا : من السنة النبوية الصحيحة

قال صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « لا تَسُبُّوا أحدًا من أصحابى فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحد ذهبًا ما أدركَ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه »[1] .

قال شيخ الإسلام : « وذلك أن الإيمان الذى كان فى قلوبهم حين الإنفاق فى أول الإسلام وقلة أهله ، وكثرة الصوارف عنه ، وضعف الدواعى إليه لا يمكن لأحدٍ أن يحصل له مثله ممن بعدهم . وهذا يعرف بعضه من ذاق الأمور ، وعرف المحن والابتلاء الذى يحصل للناس ، وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة .

وهذا مما يعرف به أن أبا بكر رضى اللَّه تعالى عنه لن يكون أحد مثله ، فإن اليقين والإيمان الذى كان فى قلبه لا يساويه فيه أحد . قال أبو بكر بن عياش : ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن بشىء وقر فى قلبه .

وهكذا سائر الصحابة حصل لهم بصحبتهم للرسول ، مؤمنين به مجاهدين معه ، إيمان ويقين لم يشركهم فيه من بعدهم »[2] .

وقال العلامة الشوكانى : « فانظر إلى هذه المزية العظيمة ، والخصيصة الكبيرة التى لم تبلغ من غيرهم إنفاق مثل الجبل الكبير من الذهب نصف المدى الذى ينفقه الواحد منهم ، فرضى اللَّه عنهم وأرضاهم .

فهم أفضل أولياء اللَّه سبحانه وأكرمهم عليه ، وأعلاهم منزلة عنده : وهم الذين عملوا بكتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم »[3] .

وقال صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... الحديث »[4] .

---

(١) رواه البخارى [٣٦٧٣] ، ومسلم [٢٥٤١] .

(٢) منهاج السنة [٢٢٣/٦] .

(٣) قطر الولى [ص : ٢٥٥] .

(٤) أخرجه البخارى [٣٦٥١] ، ومسلم [٢١٢/٢٥٣٣] .

وهو خبر متواتر[1] وقد رواه جمع من الصحابة الكرام منهم : أبو هريرة وعبد اللَّه ابن مسعود وعمران بن حصين والنعمان بن بشير وعائشة وبريدة وأبو برزة وعمر ابن الخطاب وسمرة وسعد بن تميم وجعدة بنت هبيرة وجميلة بنت أبى لهب[2] .

وقال صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « من سب أصحابى فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين »[3] .

قال الإمام الآجرى : « ومن سبهم فقد سب رسول اللَّه ﷺ ، ومن سب رسول اللَّه استحق اللعنة من اللَّه عز وجل ومن الملائكة ومن الناس أجمعين »[4] .

وقال أيضًا : « لقد خاب وخسر من سب أصحاب رسول اللَّه ﷺ ؛ لأنه خالف اللَّه ورسوله ولحقته اللعنة من اللَّه عز وجل ومن رسوله ومن الملائكة ومن جميع المؤمنين ولا يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلًا ، لا فريضة ولا تطوعًا ، وهو ذليل فى الدنيا ، وضيع القدر ، كَثَّرَ اللَّهُ بهم القبور ، وأخلى منهم الدور »[5] .

---

(١) كما قال شيخ الإسلام فى منهاج السنة [٣٥/٢] ، والحافظ ابن حجر فى مقدمة الإصابة [١٣/١] .

(٢) انظر الأزهار المتناثرة للسيوطى ولقط اللآلى للزبيدى [ص : ٧٢] ونظم المتناثر للكتانى [١٢٧] .

(٣) أخرجه أبو نعيم [١٠٣/٧] ، وابن أبى عاصم [١٠٠١] مرسلًا عن عطاء ، ورواه الطبرانى [١٢٧٠٩/١٤٢/١٢] موصولًا من حديث ابن عباس رضى اللَّه تعالى عنه وضعفه الشيخ الألبانى فى الصحيحة [٤٤٦/٥] ، ورواه الخطيب [٢٤١/١٤] أيضًا موصولًا من حديث أنس رضى اللَّه تعالى عنه ولمزه الشيخ الألبانى بالضعف فى الصحيحة [٤٤٧/٥] وله طرق كثيرة ، قال الشيخ الألبانى فى الصحيحة تحت الحديث [٢٣٤٠] : « وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندى على أقل الدرجات واللَّه أعلم » اهـ .

(٤) الشريعة [٥٤٣/٣] .

(٥) الشريعة [٥٥٠/٣] .

قال المناوى : « « من سب أصحابى » أى شتمهم « فعليه لعنة اللّٰه والملائكة والناس » أى الطرد والبعد عن مواطن الأبرار ومنازل الأخيار ، والسب والدعاء من الخلق « أجمعين » تأكيد لمن سب ، أو الناس فقط أى : كلهم . وهذا شامل لمن لَا بَس القتل منهم لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب متأولون فَسَبُّهم كبيرة ونسبتهم إلى الضلال أو الكفر كفر »[1] .

وقال صلى اللّٰه عليه وآله وسلم : « النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد . وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لأمتى ، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون »[2] .

قال ابن القيم رحمه اللّٰه : « ... جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه وكنسبة النجوم إلى السماء ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطى من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم ، وأيضًا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم وحرزًا من الشر وأسبابه »[3] اهـ .

وقال ﷺ أيضًا : « يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم : فيكم من رأى رسول اللّٰه ﷺ فيقولون : نعم فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم : فيكم من رأى من صحب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ، فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول اللّٰه ﷺ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم »[4] .

وقال صلى اللّٰه عليه وآله وسلم : « استوصوا بأصحابى خيرًا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... » .

---

(١) الفيض [١٤٦/٦-١٤٧] .

(٢) أحمد [٣٩٩/٤] ، ومسلم [٢٥٣١] .

(٣) اعلام الموقعين [١٣٧/٤] .

(٤) البخارى [٣٦٤٩] ، ومسلم [٢٥٣٢] .

وفى رواية : « أحسنوا إلى أصحابى » ، وفى رواية : « احفظونى فى أصحابى » ، وفى رواية : « أكرموا أصحابى » ، وفى أخرى : « أوصيكم بأصحابى »(١) .

وقال صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني . واللَّه لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني ، واللَّه لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رأى من رآني وصاحب من صاحب من صاحبنى »(٢) .

وقال صلى اللَّه عليه وآله وسلم : « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا »(٣) .

---

(١) رواه أحمد [١/١٨] ، الترمذى [٢١٦٥] وقال : « حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
الحاكم [١/١١٤-١١٥] وصححه وأقره الذهبى ، والبيهقى [٧/٩١] ، وأخرجه من وجه آخر عن جابر بن سمرة به : ابن ماجه [٢٣٦٣] وقال البوصيرى فى الزوائد : « رجال إسناده ثقات إلا أن فيه عبد الملك بن عمير وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة » ، والنسائى فى الكبرى [٥/٣٨٧-٣٨٩] وغيرهم من طرق وبألفاظ كلهم من حديث عمر رضى اللَّه عنه . وقد صحح الحديث الشيخ أحمد شاكر رحمه اللَّه فى تحقيقه للمسند [١/٢٠٤] وكذا الشيخ الألبانى فى الصحيحة [٤٣٠،١١١٦] .

(٢) رواه ابن أبى عاصم فى السنة [١٤٨١] ، وابن أبى شيبة [٦/٤٠٥] وحسن إسناده الحافظ فى الفتح [٧/٦] ، وقال الهيثمى [١٠/٢٠] : رواه الطبرانى من طرق ورجال أحدها رجال الصحيح .

(٣) رواه الطبرانى [١٠/١٩٦] ، أبو نعيم [٤/١٠٨] وغيرهما من حديث ابن مسعود رضى اللَّه تعالى عنه ، وحسنه الحافظان العراقى وابن حجر ، وصححه الألبانى لشواهده . انظر الصحيحة - تحت الحديث - [٣٤] ، وفى الباب عن جمع من الصحابة رضى اللَّه تعالى عنهم أجمعين .

ومعنى « إذا ذكر أصحابى فأمسكوا » قال أبو الحسن الأشعرى فى « رسالته إلى أهل الثغر » [ص:١٧٢] « قال أهل العلم : ومعنى ذلك لا تذكروهم إلا بخير الذكر » .

وقال ﷺ : « إن اللَّه تعالى قال : من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذَ بي لأعيذنَّه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته »[١] .

ولا شك عند كل ذي عقل سليم وخلق كريم ودين قويم أن الصحابة هم أول من يتصف بالولاية اتصافا أوليًا .

قال الشوكاني رحمه اللَّه : « اعلم أن الصحابة لا سيما أكابرهم الجامعين بين الجهاد بين يدي رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ، والعلم بما جاء به وأسعدهم اللَّه سبحانه من مشاهدة النبوة وصحبة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فى السراء والضراء ، وبذلهم أنفسهم وأموالهم فى الجهاد في سبيل اللَّه سبحانه حتى صاروا خير القرون بالأحاديث الصحيحة . فهم خيرة الخيرة ، لأن هذه الأمة هي كما أكرمهم اللَّه به بقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وكانوا الشهداء على العباد كما فى القرآن العظيم فهم خير العباد جميعًا ، وخير الأمم سابقهم ولاحقهم ، وأولهم وآخرهم وهؤلاء الصحابة رضى اللَّه تعالى عنهم هم خير قرونهم ، وأفضل طوائفهم إلى يوم القيامة .

فتقرر بهذا أن الصحابة رضى اللَّه عنهم خير العالم بأسره من أوله إلى آخره ، لا يفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة ، ولهذا لم يعدل مثل أُحد ذهبًا مد أحدهم ، ولا نصيفه .

---

(١) أخرجه البخارى [١١/٤١٤/٦٥٠٢] .

فإذا لم يكونوا رأس الأولياء ، وصفوة الأتقياء ، فليس للَّه أولياء ولا أتقياء ولا بررة ولا أصفياء .

وقد نطق القرآن الكريم بأن اللَّه قد رضي عن أهل بيعة الشجرة وهم جمهور الصحابة إذ ذاك .

وثبت عنه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ثبوتًا متواتراً أن اللَّه سبحانه اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »[1] . وشهد النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم لجماعة منهم بأنهم من أهل الجنة .

فقوله صلى اللَّه عليه وآله وسلم فى هذا الحديث : « من عادى لي وليًا » يصدق عليهم صدقًا أولياء ، ويتناولهم بفحوى الخطاب .

فانظر - أرشدك اللَّه - إلى ما صارت الرافضة أقمأهم[2] اللَّه تصنعه بهؤلاء الذين هم رؤوس الأولياء ورؤساء الأتقياء ، وقدوة المؤمنين ، وأسوة المسلمين ، وخير عباد اللَّه أجمعين من الطعن واللعن والثلب والسب والشتم والثلم ، وانظر إلى أي مبلغ بلغ الشيطان الرجيم بهؤلاء المغرورين المجترئين على هذه الأعراض المصونة المحترمة المكرمة .

فياللَّه العجب من هذه العقول الرقيقة ، والأفهام الشنيعة ، والأذهان المختلة والإدراكات المعتلة ، فإن هذا التلاعب الذي تلاعب بهم الشيطان يفهمه أقصر الناس عقلًا ، وأبعدهم فطانة ، وأجمدهم فهمًا ، وأقصرهم في العلم باعًا ، وأقلهم اطلاعًا .

فإن الشيطان لعنه اللَّه سول لهم بأن هؤلاء الصحابة رضي اللَّه عنهم الذين لهم المزايا التي لا يحيط بها حصر ، ولا يحصيها حد ولا عد ، أحقاء بما يهتكون من أعراضهم الشريفة ، ويجحدون من مناقبهم المنيفة ، حتى كأنهم لم يكونوا هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم ، وشادوا قصور الدين برماحهم ، واستباحوا

---

(١) أخرجه البخاري [٣٩٨٣] ، ومسلم [٢٤٩٤] .

(٢) دعاء عليهم بمعنى أذلهم وحقرهم وصغرهم ، والقميء الذليل والحقير .

الممالك الكسروية ، وأطفأوا الملة النصرانية والمجوسية ، وقطعوا حبائل الشرك من الطوائف المشركة من العرب وغيرهم ، وأوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمورة من شرق الأرض وغربها ويمينها وشمالها ، فاتسعت رقعة الإسلام وطبقت الأرض شرائع الإيمان ، وانقطعت علائق الكفر وانقصمت حباله ، وانفصمت أوصاله ، ودان بدين اللّٰه سبحانه الأسود والأحمر ، والوثني والملي .

فهل رأيت أو سمعت بأضعف من هؤلاء تمييزًا ، وأكثر منهم جهلًا ، وأزيف منهم رأيًا ! ياللّٰه العجب يعادون خير عباد اللّٰه وأنفعهم للدين ، الذي بعث به رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ، وهم لم يعاصروهم ، ولا عاصروا مَنْ أدركهم ، ولا أذنبوا إليهم بذنب ، ولا ظلموهم فى مال ، ولا دم ولا عرض ، بل قد صاروا تحت أطباق الثرى وفي رحمة واسع الرحمة منذ مئات من السنين .

وما أحسن ما قاله بعض أمراء عصرنا ، وقد رام كثير من أهل الرفض أن يفتنوه ويوقعوه في الرفض : « ما لي ولقوم بيني وبينهم زيادة على اثنتي عشرة مائة من السنين » . وهذا القائل لم يكن من أهل العلم بل هو عبد صيره مالكه أميرًا ، وهداه عقله إلى هذه الحجة العقلية التي يعرفها بالفطرة كل من له نصيب من عقل ، فإن عداوة من لم يظلم المعادي في مال ولا دم ولا عرض ، ولا كان معاصرًا له حتى ينافسه فيما هو فيه ، يعلم كل عاقل أنه لا يعود على الفاعل بفائدة .

هذا على فرض أنه لا يعود عليه بضرر في الدين ، فكيف وهو من أعظم الذنوب التي لا ينجي فاعلها إلا عفو الغريم المجني عليه بظلمه في عرضه ؟!! انظر - عافاك اللّٰه - ما ورد في غيبة المسلم من الوعيد الشديد من أنها ذكر الغائب بما فيه كما صح عن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم في بيانها لما سأله السائل عن ذلك ثم سأله عن ذكره بما ليس فيه جعل ذلك من البهتان ، كما هو ثابت في الصحيح ، ولم يرخص فيها بوجه من الوجوه .

وقد أوضحنا ذلك فى الرسالة التي دفعنا بها [١] ما قاله النووي وغيره من جواز الغيبة في ست صور ، وزيفنا ما قالوه تزييفًا لا يبقى بعده شك ولا ريب ، ومن بقي في صدره حرج وقف عليها ، فإنها دواء لهذا الداء الذي هلك به كثير من عباد اللَّه سبحانه .

فإذا كان هذا حرامًا بينًا ، وذنبًا عظيمًا في غيبة فرد من أفراد المسلمين الأحياء الموجودين ، فكيف غيبة الأموات التي صح عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم النهي عنها بقوله : « لَا تَسُبُّوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا »[٢] .

فكيف إذا كان هؤلاء المسبوبين الممزقة أعراضهم المهتوكة حرماتهم هم خير الخليقة ، وخير العالم كما قدمنا تحقيقه .

فسبحان الصبور الحليم .

فيا هذا المتجريء على هذه الكبيرة المتقحم على هذه العظيمة ، إن كان الحامل لك عليها والموقع لك في وبالها هو تأميلك الظفر بأمر دنيوي ، وعرض عاجل ، فاعلم أنك لا تنال منه طائلًا ، ولا تفوز منه بنقير ولا قطمير .

فقد جربنا وجرب غيرنا من أهل العصور الماضية ، أن من طلب الدنيا بهذا السبب الذي فتح بابه الشيطان الرجيم ، وشيوخ الملاحدة من الباطنية والقرامطة والإسماعيلية تنكدت عليه أحواله وضاقت عليه معايشه ، وعاندته مطالبه وظهر عليه كآبة المنظر ، وقماءة الهيئة ورثاثة الحال ، حتى يعرفه غالب من رآه أنه رافضي ، وما علمنا بأن رافضيًا أفلح في ديارنا هذه قط .

وإن كان الحامل لك على ذلك الدين فقد كذبت على نفسك ، وكذبك شيطانك وهو كذوب .

---

(١) هى « رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة » نشرت قديمًا ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، ثم طبعت بتحقيق محمد خير رمضان يوسف فيما بعد .

(٢) أحمد [٦/١٨٠] ، البخاري [١٣٩٣] ، النسائى [١٩٣٥] .

فإن دين اللّٰه هو كتابه وسنة رسوله ، فانظر هل ترى فيهما إلا الإخبار لنا بالرضى عن الصحابة ، وأنهم أشداء على الكفار ، وأن اللّٰه يغيظ بهم الكفار ، وأنه لا يلحق بهم غيرهم ، ولا يماثلهم سواهم .

وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، وأنفقوا بعده كما حكاه القرآن الكريم ، وهم الذين جاهدوا فى اللّٰه حق جهاده ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله .

وهم الذين قاموا بفرائض الدين ، ونشرها في المسلمين ، وهم الذين وردت لهم في السنة المطهرة المناقب العظيمة ، والفضائل الجسيمة عمومًا وخصوصًا . ومن شك في هذا نظر في دواوين الإسلام ؛ وفيما يلتحق بها من المسندات والمستدركات والمعاجيم ، ونحوها فإنه سيجد هنالك ما يشفي علله ويروى غلله ويرده عن غوايته ، ويفتح له أبواب هدايته .

هذا إذا كان يعرف أن الشريعة الإسلامية هي الكتاب والسنة ؛ وأنه لا شريعة بين أظهرنا من اللّٰه ورسوله إلا ذلك .

فإن كان لا يدري بهذا ويزعم أن له سلفًا في هذه المعصية العظيمة والخصلة الذميمة ، فقد غره الشيطان بمخذول مثله ، ومفتون مثل فتنته ، وقد نزه اللّٰه عز وجل علماء الإسلام سابقهم ولاحقهم ومجتهدهم ومقلدهم عن الوقوع في هذه البلية الحالقة للدين المخرجة لمرتكبها من سبيل المؤمنين إلى طريق المُلْحِدِين .

(*) وقد طبعت مؤخرًا بتحقيق الأخ الفاضل الشيخ مشهور حسن سلمان .

فإن زعم أنه قد قال بشيء من هذا الضلال المبين قائل من أهل البيت المطهرين ، فقد افترى عليهم الكذب البين ، والباطل الصراح فإنهم مجمعون سابقهم ولاحقهم على تعظيم جانب الصحابة الأكرمين ، ومن لم يعلم بذلك فلينظر في الرسالة التي ألفتها في الأيام القديمة التى سميتها « إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي »(*) فإني نقلت فيها نحو أربعة عشر إجماعًا عنهم من طرق مروية عن أكابرهم وعن التابعين لهم المتمسكين بمذهبهم .

فيا أيها المغرور بمن اقتديت ، وعلى من اهتديت ، وبأي حبل تمسكت ، وفي أي طريق سلكت ، يا لك الويل والثبور ، كيف أذهبت دينك في أمر يخالف كتاب اللّٰه سبحانه ، وسنة رسوله صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ، ويخالف جميع المسلمين منذ قام الدين إلى هذه الغاية ، وكيف رضيت لنفسك بأن تكون خصمًا للّٰه سبحانه ولكتابه ولرسوله صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ، ولسنته ولصحابته ولجميع المسلمين ؟!!! أين يُتَاهُ بك ، وإلى أي هوة يُرمى بك ، أما تُخْرِج نفسك من هذه الظلمات المتراكمة إلى أنوار هذا الدين الذي جاءنا به الصادق المصدق عن رب العالمين ، وأجمع عليه المسلمون أجمعون ، ولم يخالف فيه مخالف يعتد به في إجماع المسلمين ، اللَّهُمَّ إلا أن يكون رافضيًا خبيثًا ، أو باطنيًا ملحدًا ، أو قرمطيًا جاحدًا ، أو زنديقًا معاندًا [1] .

---

(١) قطر الولي [ص : ٢٩٢-٢٩٨] .

ثالثًا : أقوال السلف الصالح والعلماء التابعين لهم بإحسان

قال ابن عمر رضي اللَّه عنهما : « لا تَسُبُّوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم أربعين سنة » وفي رواية « خير من عبادة أحدكم عمره »(١) .

عن ميمون بن مهران قال : قال لي ابن عباس احفظ عني ثلاثًا : « إياك والنظر في النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة ، وإياك والقدر فإنه يدعو إلى الزندقة ، وإياك وشتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبك اللَّه في النار على وجهك »(٢) .

وقالت عائشة رضي اللَّه تعالى عنها : « أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم »(٣) .

روى مسلم في صحيحه [١٨٣٠] أن عائذ بن عمرو وكان من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، دخل على عبيد اللَّه بن زياد ، فقال : « أي بني ، إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : إن شر الرعاء الحطمة ، فإياك أن تكون منهم ، فقال له : اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ ، فقال : وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم ، وفي غيرهم » .

قال النووي رحمه اللَّه في شرح مسلم [٢١٦/١٢] : « إن شر الرعاء الحطمة ، قالوا : هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها » .

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة [٥٧/١-٥٨] وابن أبي عاصم في السنة [١٠٠٦] وابن ماجه [١٦٢] وصححه البوصيري ، وحسنه الألباني .

(٢) اللالكائي [٧٠٠/٤] .

(٣) رواه مسلم [٣٠٢٢] ، والإمام أحمد في فضائل الصحابة [٥٧/١] ، وابن أبى عاصم فى السنة [١٠٠٣] .

قوله : « إنما أنت من نخالتهم » يعني لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم ، بل من سقطهم ، والنخالة هنا استعارة من نخالة الدقيق وهي قشوره والنُّخالة والحُقالة والحُثالة بمعنى واحد .

قوله : « وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم » هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم ، فإن الصحابة رضى الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل ممن بعدهم ، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم ، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم ، وفيمن بعدهم كانت النخالة » اهـ .

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه ... »[1] .

وقال أيضًا : « من كان متأسيًا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا ، وأقومها هديًا وأحسنها حالًا قومًا

---

(١) أخرجه أحمد [٣٧٩/١] وقال الشيخ أحمد شاكر : « إسناده صحيح وهو موقوف على ابن مسعود » . والطيالسي [ص : ٣٣] ، والحاكم [٧٨/٣-٧٩] وصححه وأقره الذهبي ، وحسنه السخاوي موقوفًا في « المقاصد الحسنة » [٩٥٩] ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » [١٧٧/١] : « رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون » . قال الألباني : « ثم أخرجه - أي الخطيب في الفقيه والمتفقه - من طريق عبد الرحمن بن يزيد قال : قال عبد الله : فذكره ، وإسناده صحيح ، وقد روى مرفوعًا ولكن في إسناده كذاب ... » اهـ انظر الضعيفة [٥٣٢-٥٣٣] .

اختارهم اللَّه تعالى لصحبة نبيه ﷺ فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في أثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم[(١)] .

قال الإمام مالك رضي اللَّه عنه : « هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا اللَّه به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم ؛ وبذلك أمره اللَّه ، وأمر النبي بحبهم وموالاتهم ، ومعاداة من عاداهم »[(٢)] .

وقال أيضًا : « إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام فلم يُمكنهم ذلك ، فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجلُ سوء ، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين »[(٣)] اهـ .

كان ذلك كذلك لأن الصحابة حمى رسول اللَّه ﷺ ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

وللَّه دَرُّ من قال[(٤)] :

وكن على حب النبي عــاكفًا ... إيـاك أن ترى له مخـــالفًا

ثم قال :

واللَّه فاتقيـــــه في أصـــحابه ... فالخــوض فيهم هو في جنابه

وقد أحسن من قال[(٥)] :

وصحابه فهم العدول وجرحهم ... جــرح لدين الواحـــد الديان

ضل الروافض وَيْحهم أوَ مَا دَرُوا ... إن الصــحابة عـدلوا بقــرآن

---

(١) جامع بيان العلم وفضله [١٨١٠] ، وورد عن ابن عمر نحوه رواه أبو نعيم فى الحلية [١/٣٠٥] من طريق الحسن وهو مدلس وفي ثبوت سماعه كلام .

(٢) الشفا للقاضي عياض [٢/٦١٨] .

(٣) الصارم المسلول [٥٨٢] .

(٤) القائل هو محمد سعيد الدمشقي المتوفى سنة [١٣٢٧هـ] في منظومته « دعوة الأصحاب إلى التحلي بحلى الآداب » .

(٥) هو عبد العزيز الحربي .

وقال الإمام الشافعي : « أثنى اللَّه تبارك وتعالى على أصحاب رسول اللَّه ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول اللَّه ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم اللَّه وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، فهم أدوا إلينا سنن رسول اللَّه ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول اللَّه ﷺ عامًا وخاصًّا وعزمًا وإرشادًا وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسها واللَّه أعلم »[1] .

قال الإمام أحمد : « إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام »[2] .

وقال أيضًا : « من تنقص أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فلا ينطوي إلا على بَلِيَّة ، وله خبيئة سوء ، إذا قَصدَ إلى خير الناس وهم أصحاب رسول اللَّه ﷺ حَسْبُكَ »[3] اهـ .

وقال أيضًا : « من شتم أصحاب النبي ﷺ لا نأمن أن يكون قد مرق عن الدين »[4] ، وقال في رواية : « ما أراه على الإسلام » .

وقال أيضًا : « ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول اللَّه ﷺ كلهم أجمعين والكف عن الذي شجر بينهم ، فمن سب أصحاب رسول اللَّه ﷺ أو واحدًا فهو مبتدع رافضي ، حبهم سنة والدعاء لهم قربة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآرائهم فضيلة » السنة للإمام أحمد .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي [٤٢٢/١] .

(٢) اللالكائي [١٣٢٦/٧] ، والبداية والنهاية [١٤٢/٨] ، والصارم المسلول [٥٧٠] .

(٣) السنة للخلال [٤٧٧] .

(٤) السنة للخلال [٤٩٣] .

وقال في رسالته إلى مسدد بن مسرهد يوصيه بالسنة ولزوم ما كان عليه السلف : « والكف عن مساوىء أصحاب رسول اللّه ﷺ تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم » (١) .

قال محمد بن حبيب الأندراني سمعت أحمد بن حنبل يقول : « صفة المؤمن من أهل السنة من يشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل ، إلى أن قال : – وعرف حق السلف الذين اختارهم اللّه لصحبة نبيه – ثم قال : وترحم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم ، وحدث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم »(٢) .

وقال أيضًا فيما يرويه عنه عبدوس بن مالك العطار : « ومن انتقص واحدًا من أصحاب رسول اللّه ﷺ أو أبغضه لحدث كان منه ، أو ذكر مساويه ، كان مبتدعًا ، حتى يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا »(٣) .

وقال إبراهيم بن موسى بن آزر : « حضرت أحمد بن حنبل ، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه ، فقيل له : يا أبا عبد اللّه ، هو رجل من بني هاشم ؟ فأقبل عليه ، وقال : اقرأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(٤) . [البقرة : ١٣٤] .

قال عبد اللّه بن المبارك : « خصلتان من كانتا فيه نجا : الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ »(٥) .

---

(١) طبقات الحنابلة [١/٣٤٤] .

(٢) طبقات الحنابلة [١/٢٩٤] .

(٣) طبقات الحنابلة [١/٢٤٥] .

(٤) طبقات الحنابلة [١/٩٧] ، تاريخ بغداد [٦/٤٤] .

(٥) الشفا [٢/٦١٦] .

قال قبيصة بن عقبة : « حُب أصحاب النبي ﷺ كلهم سنة »[١] .

وقال الإمام الآجري : فمن صفة من أراد الله عز وجل به خيرًا وسلم له دينه ونفعه الله الكريم بالعلم ، المحبة لجميع الصحابة ولأهل بيت رسول الله ﷺ ولأزواج رسول الله ﷺ والاقتداء بهم ولا يخرج بفعل ولا بقول عن مذاهبهم ولا يرغب عن طريقتهم وإذا اختلفوا في باب من العلم فقال بعضهم : حلال ، وقال الآخر : حرام ، نظر أي القولين أشبه بكتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ وسأل العلماء عن ذلك إذا قصر علمه ، فأخذ به ، ولم يخرج عن قول بعضهم ، وسأل الله عز وجل السلامة وترحم على الجميع ... »[٢] .

وقال أيضًا : « فلو فعل إنسان فعلًا كان له فيه قدوة بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ كان على الصراط المستقيم ، ومن فعل فعلًا يخالف فيه الصحابة فنعوذ بالله منه ، ما أسوأ حاله »[٣] .

وقال أيضًا : « من جاء إلى أصحاب رسول الله ﷺ حتى يطعن في بعضهم ويهوى بعضهم ويذم بعضًا ويمدح بعضًا فهذا رجل طالب فتنة ، وفي الفتنة وقع ، لأنه واجب عليه محبة الجميع والاستغفار للجميع رضي الله عنهم ونفعنا بحبهم »[٤] .

وقال ميمون بن مهران : قال لي ابن عباس : « يا ميمون لا تسب السلف وادْخُلِ الجنة بسلام »[٥] .

قال سهل بن عبد الله التستري : « لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره »[٦] .

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي [١٣١٣/٧] .

(٢) الشريعة [٤٢٤/٢] .

(٣) الشريعة [٤٢٣/٢] .

(٤) الشريعة [٥٣٩/٣] .

(٥) اللالكائي [١٣٢٥/٧] .

(٦) الشفا [٦١٨/٢] .

قال أبو نعيم : « فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن فهو العادل عن أمر اللّٰه تعالى وتأديبه ووصيته فيهم ، لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين »[1] اهـ .

قال النووي رحمه اللّٰه : « واعلم أن سب الصحابة رضي اللّٰه عنهم حرام من فواحش المحرمات ، سواء من لابس الفتنة منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون »[2] اهـ .

قال ابن حجر الهيتمي : « عد ما ذكر - أي بغض الأنصار وشتم واحد من الصحابة رضوان اللّٰه عليهم أجمعين - كبيرتين هو ما صرح به غير واحد وهو ظاهر ، وقد صرح الشيخان وغيرهما أن سب الصحابة كبيرة ، قال الجلال البلقيني : « وهو - أي سب الصحابة - داخل تحت مفارقة الجماعة وهو الابتداع المدلول عليه بترك السنة ، فمن سب الصحابة رضي اللّٰه عنهم أتى كبيرة بلا نزاع »[3] .

ثم قال أيضًا [٥١٠/٢] : « فقد نص اللّٰه تعالى على أنه رضي عن الصحابة في غير آية ، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] . فمن سبهم أو واحدًا منهم فقد بارز اللّٰه بالمحاربة ، ومن بارز اللّٰه بالمحاربة أهلكه وخذله ، ومن ثم قال العلماء : إذا ذكر الصحابة بسوء كإضافة عيب إليهم وجب الإمساك عن الخوض في ذلك بل ويجب إنكاره باليد ثم اللسان ثم القلب على حسب الاستطاعة كسائر المنكرات بل هذا من أشرها وأقبحها ، ومن ثم أكد النبي ﷺ التحذير من ذلك بقوله : « اللّٰه اللّٰه » أي احذروا اللّٰه أي عقابه وعذابه على حد قوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، وكما تقول لمن تراه مشرفًا على الوقوع في نار

(١) الإمامة والرد على الرافضة [٣٧٦] .
(٢) شرح مسلم [٩٣/١٦] .
(٣) الزواجر [٥٠٩/٢] .

عظيمة : النار النار أي احذرها ، وتأمل أعظم فضائلهم ومناقبهم التي نوه بها ﷺ حيث جعل محبتهم محبة له وبغضهم بغضًا له ، وناهيك بذلك جلالة لهم وشرفًا فحبهم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه » .

ثم قال : « وإنما يعرف فضائل الصحابة من تدبر سيرهم معه ﷺ وآثارهم الحميدة في الإسلام في حياته وبعد مماته فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأكمله وأفضله فقد جاهدوا في الله حق جهاده حتى نشروا الدين وأظهروا شرائع الإسلام ولولا ذلك منهم ما وصل إلينا قرآن ولا سنة ولا أصل ولا فرع ، فمن طعن فيهم فقد كاد أن يمرق من الملة ، لأن الطعن فيهم يؤدي إلى انطماس نورها ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢] ، وإلى عدم الطمأنينة والإذعان لثناء الله ورسوله عليهم وإلى الطعن في الله وفي رسوله إذ هم الوسائط بيننا وبين رسول الله ﷺ والطعن في الوسايط طعن في الأصل والإزراء بالناقل إزراء بالمنقول عنه وهذا ظاهر لمن تدبره وقد سلمت عقيدته من النفاق والغلو والزندقة ، فالواجب على من أحب الله ورسوله حب من قام بما أمر الله ورسوله به وأوضحه وبلغه لمن بعده وأداه جميع حقوقه ؛ والصحابة هم القائمون بأعباء ذلك كله » .

قال البربهاري رحمه الله : قال سفيان بن عيينة : « من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى »(١) .

قال محمد بن بشار : « قلت لعبد الرحمن بن مهدي ، أحضر جنازة من سب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فقال : لو كان من عصبتي ما ورثته » .

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس : باع محمد بن عبد العزيز التيمي داره وقال : « لا أقيم بالكوفة ، بلدة يشتم فيها أصحاب رسول الله ﷺ »(٢) .

---

(١) شرح السنة [ص : ٧٦-٧٧] .

(٢) الإبانة الصغرى لابن بطة [١٨١] .

قال ابن السمعاني رحمه الله في الاصطلام(*) : « التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله بل هو بدعة وضلالة »(١) .

قال أيوب السختياني : « ... ومن أحسن الثناء على أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق ومن يَنتَقِص أحدًا منهم أو بَغَضَه لشيء كان منه فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح والخوفُ عليه أن لا يُرفع له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعًا ويكون قلبُه لهم سليمًا »(٢) .

قال أبو زرعة العراقي : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة »(٣) .

وروى الخطيب بسنده إلى عبد الله بن مصعب قال : قال لي أمير المؤمنين المهدي(*) يا أبا بكر ما تقول فيمن ينقص أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت : زنادقة ، قال : ما سمعت أحدًا قال هذا قبلك ، قال : قلت : هم قوم أرادوا رسول الله بنقص فلم يجدوا أحدًا من الأمة يتابعهم على ذلك ، فتنقَّصُوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء ، وهؤلاء

(*) ومعنى الاصطلام الاستئصال والإباءة ، وهذا الكتاب ألفه أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٤٨٩هـ ويسمى المختصر ، قال حفيده في الأنساب [٢٩٩/٣] عند عد مؤلفات جده : « والمختصر الذي سار في الآفاق والأقطار الملقب الاصطلام ورد فيه على أبي زيد الدبوسي » .

(١) نقله الحافظ في الفتح [٤٥٩/٤] .

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين [ص : ٢٦٨] ، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة [١٣١٦/٧] مختصرًا .

(٣) الكفاية [٤٩] .

(*) هو الخليفة العباسى أبو عبد الله محمد بن أبى جعفر عبد الله المنصور [١٢٦-١٦٩هـ] .

عند أبناء هؤلاء ، فكأنهم قالوا : رسول اللّٰه ﷺ يصحبه صحابة السوء وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء ، فقال : ما أراه إلا كما قلت »[1] .

قال الشوكاني : « كراهة الرافضة للصحابة أريد بها هدم السنة : واعلم أن لهذه الشنعة الرافضية ، والبدعة الخبيثة ذيلًا هو أشر ذيل وويلًا هو أقبح ويل . وهو أنهم لما علموا أن الكتاب والسنة يناديان عليهم بالخسارة ، والبوار بأعلى صوت عادوا السنة المطهرة وقدحوا فيها وفي أهلها بعد قدحهم في الصحابة رضي اللّٰه عنهم . وجعلوا المتمسك بها من أعداء أهل البيت ومن المخالفين للشيعة ولأهل البيت . فأبطلوا السنة المطهرة بأسرها ، وتمسكوا في مقابلها ، وتعوضوا عنها بأكاذيب مفتراة مشتملة على القدح المكذوب المفترى في الصحابة وفي جميع الحاملين للسنة المهتدين بهديها ، العاملين بما فيها ، الناشرين لها في الناس من التابعين وتابعيهم إلى هذه الغاية ، وسمُوهُم بالنصب ، والبغض لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه ، ولأولاده . فأبعد اللّٰه الرافضة وأقماهم ، أيبغضُ علماء السنة المطهرة هذا الإمام الذي تعجز الألسن عن حصر مناقبه مع علمهم بما في كتب السنة المطهرة من قوله ﷺ : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق »[2] .

وما ثبت في السنة من أنه يحبه اللّٰه سبحانه ورسوله صلى اللّٰه عليه وآله وسلم ؟! يا لهم الويل الطويل ، والخسار البالغ . أيوجد مسلم من المسلمين ، وفرد من أفراد المؤمنين بهذه المثابة ، وعلى هذه العقيدة الخبيثة ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولكن الأمر كما قلت :

قبيــــح لا يماثله قبيــــــح ... لعمر أبيك دين الرافضــــينا
أذاعــوا في عليٍّ كل نُــكْرٍ ... وأَخفُــوا من فضائله اليقينا

---

(١) تاريخ بغداد [١٠/١٧٥] .

(٢) رواه أحمد [١/٨٤] ، ومسلم [٧٨] ، والترمذي [٣٧٣٦] ، والنسائي [٥٠٣٣] ، وابن ماجه [١١٤] .

وسبُّوا لا رعوا أصحابَ طَه | وعادوا من عداهم أجمعينا
وقالوا دينهم دين قويم | ألا لعن الإله الكاذبينا

وكما قلت :

تشيع الأقوام في عصرنا | منحصر في أربع من بدع
عداوة السنة والثلب للأ | سلاف والجمع وترك الجمع

وكما قال بعض المعاصرين لنا :

تعالوا إلينا إخوة الرفض إن تكن | لكم شرعة الإنصاف دينا كديننا
مدحنا عليًا فوق ما تمدحونه | وعاديتم أصحاب أحمد دوننا
وقلتم بأن الحق ما تصنعونه | ألا لعن الرحمنُ منا أضلَّنا (١)

قال بشر بن الحارث المشهور بالحافي : « من شتم أصحاب رسول اللّه ﷺ فهو كافر وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين » .

وقال أبو محمد بن حزم رحمه اللّه : « ... وكذلك القول فيمن خالف حديث النبي ﷺ لتقليد أو قياس - ولا فرق - أوْ مَن سب أحد الصحابة رضي اللّه عنهم ، فإن ذلك عصبية - والعصبية فسق - وصدق أبو يوسف القاضي إذ سئل عن شهادة من يسب السلف الصالح ، فقال : لو ثبت عندي على رجل أنه يسب جيرانه ما قبلت شهادته ، فكيف من يسب أفاضل الأمة ، إلا أن يكون من الجهل بحيث لم تقم عليه حجة النص بفضلهم والنهي عن سبهم ، فهذا لا يقدح سبهم في دينه أصلًا ، ولا ما هو أعظم من سبهم ، لكن حكمه أن يعلم ويعرف ، فإن تمادى فهو فاسق ، وإن عاند في ذلك اللّه تعالى أو رسوله ﷺ فهو كافر مشرك »(٢) .

قال الإمام الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة المشهورة : « ونحب أصحاب رسول اللّه ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم

---

(١) قطر الولي [ص : ٣٠٥-٣٠٧] .
(٢) الأحكام [١٤٩/١] .

ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان » .

وقال الإمام أبو إسماعيل الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث : « ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم » .

وقال الإمام ابن بطة العكبري : « ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله ، ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلًا رأى النبي ﷺ وشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن لم يره ولم يشاهده ، ولو أتى بأعمال أهل الجنة أجمعين ، ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم ، وأولهم وآخرهم ، وذكر محاسنهم ، ونشر فضائلهم والاقتداء بهديهم والاقتفاء لآثارهم وأن الحق في كل ما قالوه ، والصواب فيما فعلوه »[1] .

وقال الإمام البربهاري : « واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمدًا ﷺ وقد آذاه في قبره »[2] .

وقال أيضًا : « وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى »[3] .

وقال الإمام أبو بكر الحميدي شيخ البخاري : « السُّنة عندنا أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره ... – فعد مسائل إلى أن قال – : والترحم على أصحاب محمد ﷺ كلهم فإن الله عز وجل قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر : ١٠] . فلم يؤمر

---

(١) الإبانة الصغرى [٢٩٠] .

(٢) شرح السنة [ص : ١٢٣] .

(٣) المصدر السابق [ص : ١١٥] .

إلا بالاستغفار لهم فمن سبهم أو بعضهم أو أحدًا منهم فليس على السنة وليس له في الفيء حق ، أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس أنه قال : قسم اللَّه تعالى الفيء فقال : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾ [الحشر : ١٠] ثم قال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾ الآية . فمن لم يقل هذا لهم فليس ممن جعل له الفيء »(١) .

وقال الإمام الشافعي : « أثنى اللَّه تبارك وتعالى على أصحاب رسول اللَّه ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم لسان رسول اللَّه ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم اللَّه . وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، فهم أدوا إلينا سنن رسول اللَّه ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعلموا ما أراد رسول اللَّه ﷺ عامًا وخاصًّا ، وعزمًا وإرشادًا ، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمرًا سترك به علم واستنبط به ، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا واللَّه أعلم »(٢) .

وقال الإمام حرب صاحب الإمام أحمد في مسائله : « وذكر محاسن أصحاب رسول اللَّه ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم فمن سب أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، أو واحدًا منهم ، أو نقصه ، أو طعن عليه ، أو عرض بعيبهم ، أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف ، لا يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلًا ، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة ، وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ، ووقف قوم على عثمان : وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول اللَّه ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر

---

(١) أصول السنة بذيل المسند [٢/٥٤٦] .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي [١/٤٢٢] .

شيئًا من مساويهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه ، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع »[1] .

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي : « ومن غاضه مكانهم من الله فهو مخوف عليه ما لا شيء أعظم منه لقوله عز وجل : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٢٩] . فأخبر أنه جعلهم غيظًا للكافرين »[2] .

ثم قال أيضًا : « والكف عن الوقيعة فيهم وتأول القبيح عليهم ، ويكلونهم فيما جرى بينهم على التأويل إلى الله عز وجل »[3] .

وقال ابن أبي زمنين : « ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم ، وقد أثنى الله عز وجل في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم بمحبتهم والدعاء لهم »[4] .

وقال ابن شاهين : « وأن أفضل الناس بعد رسول الله ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليهم السلام ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أخيار أبرار وإني أدين الله بمحبتهم وأبرأ ممن سبهم أو لعنهم أو ضللهم أو خونهم أو كفرهم »[5] .

---

(١) نقله ابن القيم في حادي الأرواح [ص : ٢٩٤] .
(٢) اعتقاد أئمة الحديث [ص : ٧٣] .
(٣) اعتقاد أئمة الحديث [ص : ٧٩] .
(٤) أصول السنة [ص : ٢٦٣] .
(٥) الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة [ص : ٢٥١] .

وقال الإمام المزني صاحب الإمام الشافعي عن الصحابة : « ونخلص لكل رجل منهم من المحبة بقدر الذي أوجب لهم رسول اللَّه ويقال بفضلهم . ويذكرون بمحاسن أفعالهم ونمسك عن الخوض فيما شجر بينهم ، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم ارتضاهم اللَّه عز وجل لنبيه وخلقهم أنصارًا لدينه ، فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين فرحمة اللَّه عليهم أجمعين »(١) .

ثم قال حاكيًا الإجماع على هذه العقيدة : « هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى ، وبتوفيق اللَّه اعتصم بها التابعون قدوة ورضى ، وجانبوا التكلف فيما كفوا ، فشددوا بعون اللَّه ووفقوا ، لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا ، ولم يجاوزوه تزيدًا فيعتدوا ، فنحن باللَّه واثقون ، وعليه متوكلون وإليه في اتباع آثارهم راغبون »(٢) اهـ .

وقال الإمام أبو حنيفة : « ولا نذكر أحدًا من صحابة الرسول إلا بخير » .

وقال أيضًا : « ولا نتبرأ من أحد من أصحاب الرسول ﷺ ولا نوالي أحدًا دون أحد » .

وقال أيضًا : « أفضل الناس بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ثم نكُف عن جميع أصحاب رسول اللَّه ﷺ إلا بذكر جميل »(٣) .

وقال أيضًا : « مقام أحدهم مع رسول اللَّه ﷺ ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال » .

---

(١) رسالته شرح السنة التي يبين فيها جملة من اعتقاد أهل السنة [ص : ٨٦] .

(٢) المصدر السابق [ص : ٨٩] .

(٣) انظر « اعتقاد الأئمة الأربعة » و « أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة » كلاهما لمحمد الخميس .

وقال أيضًا : « ويحبهم كل مؤمن تقي ويبغضهم كل منافق شقي » .

وقال ابن أبي زيد في مقدمة الرسالة : « ولا يُذْكَر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا بأحسن الذكر ، والإمساك عما شجر بينهم ، وأنهم أحق الناس أن تلتمس لهم المخارج ، ويظن بهم أحسن المذاهب ... واتباع السلف الصالح ، واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم » .

قال القاضي عبد الوهاب في شرحه للرسالة : « لأن فيه سلامة الدين وتعظيم الرسول ﷺ وقبولَ وصيته »[1] .

وقال الآجري بعدما روى حديثًا في فضل الصحابة : « فمن سمع فنفعه اللَّه الكريم بالعلم أحبهم أجمعين المهاجرين والأنصار وأصهار رسول اللَّه ﷺ ، من تزوج إليهم ومن زوجهم وجميع أهل بيته الطيبين وجميع أزواجه ، واتقى اللَّه الكريم فيهم ولم يسب واحدًا منهم ولم يذكر ما شجر بينهم ، وإذا سمع أحدًا يسب أحدًا منهم نهاه وزجره ونصحه ، فإن أبى هجره ولم يجالسه ، فمن كان على هذا مذهبه رجوت له من اللَّه الكريم كل خير في الدنيا والآخرة »[2] .

قال شيخ الإسلام رحمه اللَّه : « ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول اللَّه ﷺ كما وصفهم اللَّه به في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] . وطاعة النبي ﷺ في قوله : « لا تسبوا أصحابي فوالذى نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم » .

---

(١) اللوحة ٧٣ من المخطوط .

(٢) كتاب الأربعين [ص : ٤٦] .

ثم قال : [ص : ٢٤٨] : « ويبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل »[1] اهـ .

وقال أيضًا : « ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله بعد النبيين ، ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبًا لمن بعدهم ، إلا الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2] [الحشر : ١٠] .

قال ابن حزم رحمه الله : « أما الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة وسمع منه ولو كلمة فما فوقها ، أو شاهد منه عليه السلام أمرًا يعيه ، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه كهيت المخنث ومن جرى مجراه فمن كان كما وصفنا أولًا فهو صاحب ، وكلهم عدل إمام فاضل رضى ، فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم ، وأن نستغفر لهم ونحبهم ، وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك ، وجلسة من الواحد منهم مع النبي ﷺ أفضل من عبادة أحدنا دهره كله ، وسواء كان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيرًا أو بالغًا فقد كان النعمان بن بشير وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم أجمعين من أبناء العشر فأقل إذ مات النبي ﷺ ، وأما الحسن فكان حينئذ ابن ست سنين إذ مات رسول الله ﷺ وكان محمود بن الربيع ابن خمس سنين إذ مات النبي ﷺ وهو يعقل مجة مجها النبي ﷺ في وجهه من ماء بئر دارهم ، وكلهم معدودون من خيار الصحابة ، مقبولون فيما رووا عنه عليه السلام أتم القبول وسواء من ذلك الرجال والنساء والعبيد والأحرار »[3] .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس [ص : ٢٣٦] .
(٢) منهاج السنة [١/٢٢] .
(٣) الأحكام في أصول الأحكام [٥/٨٩-٩٠] .

قال ابن القيم : « فصل في أنواع الرأي المحمود ، النوع الأول : رأي أفقه الأمة وأبر الأمة قلوبًا وأعمقهم وأقلهم تكلفًا وأصحهم قصودًا وأكملهم فطرة وأتمهم إدراكًا وأصفاهم أذهانًا الذين شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل وفهموا مقاصد الرسول ، فنسبة آرائهم وعلومهم وقصودهم إلى ماجاء به الرسول ﷺ كنسبتهم إلى صحبته ، والفرق بينهم وبين من بعدهم في ذلك كالفرق بينهم وبينهم في الفضل فنسبة رأي من بعدهم إلى رأيهم كنسبة قدرهم إلى قدرهم »[1] .

وقال أيضًا : « الصحابة أفضل الناس في الرأي : والمقصود أن أحدًا ممن بعدهم لا يساويهم في رأيهم ، وكيف يساويهم ؟ وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته ! كما رأى عمر في أسارى بدر أن تضرب أعناقهم ، فنزل القرآن بموافقته ، ورأى أن تحجب نساء النبي ﷺ فنزل القرآن بموافقته ، ورأى أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى ، فنزل القرآن بموافقته ، وقال لنساء النبي ﷺ لما اجتمعن في الغيرة عليه : « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن مسلمات مؤمنات » ، فنزل القرآن بموافقته ، ولما توفي عبد الله بن أبي قام رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوبه ، فقال : يا رسول الله إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عليه : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة : ٨٤] .

وقد قال سعد بن معاذ لما حكمه النبي ﷺ في بني قريظة : إني أرى أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذرياتهم وتغنم أموالهم فقال النبي ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات » .

ولما اختلفوا إلى ابن مسعود شهرًا في المفوضة قال : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صوابًا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريء منه ، أرى أن لها مهر نسائها لا وكس ولا شطط ، ولها الميراث وعليها العدة ، فقام ناس

---

(١) إعلام الموقعين [١/٧٩-٨٠] .

من أشجع فقالوا : نشهد أن رسول اللّٰه ﷺ قضى في امرأة منا يقال لها بروع بنت واشق ما قضيت به ، فما فرح ابن مسعود بشيء بعد الإسلام فرحه بذلك .

وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرًا من رأينا لأنفسنا ، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورًا وإيمانًا وحكمة وعلمًا ومعرفة وفهمًا عن اللّٰه ورسوله ونصيحة للأمة ، وقلوبهم على قلب نبيهم ، ولا وساطة بينهم وبينه ، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًا طريًا لم يشبه إشكال ، ولم يشبه خلاف ؛ ولم تدنسه معارضة ، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس »(١) .

قال الإمام النووي : « وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ولا تنال درجتها بشيء »(٢) .

وقال الحافظ ابن حجر : « والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول اللّٰه ﷺ »(٣) .

قال الصنعاني الأمير في ثمرات النظر في علم الأثر [ص: ١٠٥] : « وأما الصحابة رضي اللّٰه عنهم فلهم شأن جليل وشأو نبيل ومقام رفيع وحجاب منيع فارقوا في دين اللّٰه أهلهم وأوطانهم وعشائرهم وإخوانهم وأنصارهم وأعوانهم وهم الذين أثنى اللّٰه جل جلاله عليهم في كتابه وأودع ثناءهم شريف كلامه وخطابه وفيهم المادح النبوية والأخبار الرسولية بأنه لا يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهبًا » .

قلت : وإنما حصل واستحق الصحابة الكرام هذا الثناء الجميل في الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة لما بذلوه في نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه حتى إن

---

(١) المصدر السابق [١/٨١-٨٢] .

(٢) شرح مسلم [١٦/٩٣] .

(٣) الفتح [٧/٨] .

الرجل الواحد منهم كان يفدي النبي ﷺ بنفسه وماله وأهله وولده ولا يقبل أن يصاب النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم بأدنى سوء . وهم الذين ضربوا للأجيال من بعدهم أمثلة رائعة في التضحية والصبر حتى إنهم أكلوا أوراق الشجر وربطوا الحجر على بطونهم ، وهم الذين جاهدوا في اللَّه حق جهاده حتى بلغوا بالإسلام أقاصي البلاد وأبهروا أعداءهم ببسالتهم وشجاعتهم في القتال ، فقد روى ابن كثير عن أبي إسحاق قال : « كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء[1] ، فقال هرقل - وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم - ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم ؟ فقالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنَّا نشربُ الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغصب ، ونظلم ، ونأمر بالسخط ، وننهي عما يرضي اللَّه ، ونفسد في الأرض ، فقال : أنت صدقتني »[2] .

(١) الفواق : بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين من الوقت . « مختار الصحاح » .

(٢) البداية والنهاية [١٥/٧] .

بيان الحق فيما وقع بين الصحابة الكرام رضي اللَّه عنهم أجمعين

أما ما شجر بينهم فأعدل الأقوال قول أهل السنة والجماعة .

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في « رسالة إلى أهل الثغر » ضمن ذكره لما أجمع عليه السلف الصالحون [ص ١٧٢] :

« الإجماع الثامن والأربعون : وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة عليهم السلام إلا بخير ما يذكرون به ، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم ، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج ، وأن نظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ممتثلين في ذلك لقول رسول اللَّه ﷺ : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا » وقال أهل العلم : « معنى ذلك لا تذكروهم إلا بخير الذكر » .

وقال أيضًا في الإبانة : « فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي اللَّه عنهم فإنما كان على تأويل واجتهاد ، وعلي الإمام : وكلهم من أهل الاجتهاد وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم ، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي اللَّه عنهما كان على تأويل واجتهاد وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين وقد أثنى اللَّه ورسوله على جميعهم وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري من كل من ينقص أحدًا منهم رضي اللَّه عن جميعهم ، وقد قلنا في الإقرار قولًا وخبرًا والحمد للَّه أولًا وأخيرًا » .

قال القاضي عياض : « ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم ، والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والإضراب عن أخبار المؤرخين ، وجهلة الرواة ، وضلال الشيعة ، والمبتدعين القادحة في أحد منهم ، وأن يلتمس لهم فيما نقل

عنهم ، من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج ، إذ هم أهل ذلك ، ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر ، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ، ويسكت عما وراء ذلك ؛ كما قال ﷺ : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »[١] اهـ .

قال الإمام الآجري محمد بن الحسين في الشريعة [٣/٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨] تحت عنوان : ذكر الكف عما شجر بين أصحاب رسول اللَّه ﷺ ورحمة اللَّه تعالى عليهم أجمعين :

« ولا يذكر ما شجر بينهم ولا ينقر عنه ولا يبحث ، فإن عارضنا جاهل مفتون قد خطيء به عن طريق الرشاد فقال : لم قاتل فلان لفلان ولم قتل فلان لفلان وفلان ؟

قيل له : ما بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا ولا اضطررنا إلى عملها .

فإن قال : ولم ؟

قيل له : لأنها فتن شاهدها الصحابة رضي اللَّه عنهم ، فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم وكانوا أهدى سبيلًا ممن جاء بعدهم لأنهم أهل الجنة عليهم نزل القرآن وشاهدوا الرسول ﷺ وجاهدوا معه وشهد لهم اللَّه عز وجل بالرضوان والمغفرة والأجر العظيم ، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير قرن .

فكانوا باللَّه عز وجل أعرف وبرسوله ﷺ ،وبالقرآن وبالسنة ومنهم يؤخذ العلم وفي قولهم نعيش وبأحكامهم نحكم وبأدبهم نتأدب ولهم نتبع وبهذا أمرنا .

فإن قال : وإيش الذي يضرنا من معرفتنا لما جرى بينهم والبحث عنه ؟

قيل له : ما لا شك فيه وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا ، وعقولنا أنقص بكثير ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم ، فنزِلَّ عن طريق الحق ونتخلف عما أمرنا فيهم .

---

(١) الشفا [٢/٦١١] .

فإن قال : وبم أمرنا فيهم ؟

قيل : أمرنا بالاستغفار لهم والترحم عليهم والمحبة لهم والاتباع لهم دل على ذلك الكتاب والسنة وقول أئمة المسلمين .

وما بنا حاجة إلى ذكر ما جرى بينهم قد صحبوا الرسول ﷺ وصاهرهم وصاهروه فبالصحبة يغفر اللَّه الكريم لهم .

وقد ضمن اللَّه عز وجل في كتابه أن لا يخزي منهم واحدًا ، وقد ذكر لنا اللَّه تعالى في كتابه أن وصفهم في التوراة والإنجيل فوصفهم بأجمل الوصف ونعتهم بأحسن النعت ، وأخبرنا مولانا الكريم أنه قد تاب عليهم ، وإذا تاب عليهم لم يعذب واحدًا منهم أبدًا رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب اللَّه ، ألا إن حزب اللَّه هم المفلحون .

فإن قال قائل : إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالمًا بما جرى بينهم فأكون لم يذهب علي ما كانوا فيه لأني أحب ذلك ولا أجهله .

قيل له : أنت طالب فتنة لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك ولو اشتغلت بإصلاح ما للَّه عز وجل عليك فيما تعبدك به من أداء فرائضه واجتناب محارمه كان أولى بك .

وقيل : ولا سيما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضالة .

وقيل له : اشتغالك بمطعمك وملبسك من أين هو ؟ أولى بك ، وتكسبك لدرهمك من أين هو ؟ وفيما تنفقه ؟ أولى بك .

وقيل : لا يأمن أن يكون بتنقيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك فتهوى ما لا يصلح لك أن تهواه ويلعب بك الشيطان فتسب وتبغض من أمرك اللَّه بمحبته والاستغفار له وباتباعه فَتَزِلَّ عن طريق الحق وَتَسْلُكَ طريق الباطل » .

قال شيخ الإسلام : « كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم »(١) .

وقال أيضًا : « ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ - إلى أن قال - ويمسكون عما جرى بين الصحابة ، ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون ، وإما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون - إلى أن قال - : ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل ؛ علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله »(٢) .

قال الإمام ابن بطة العكبري : « نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل . فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم ، والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه ، وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم »(٣) .

وقال العوام بن حوشب : « أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض : اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ لتأتلف عليه القلوب ، ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم »(٤) .

---

(١) منهاج السنة [٤/٤٤٨] .

(٢) العقيدة الواسطية شرح الهراس [ص : ٢٤٩-٢٥٠] .

(٣) الإبانة الصغرى [٢٩٤] .

(٤) المصدر السابق [١٨١] .

قال أبو القاسم الأصبهاني : « وما جرى بين علي وبين معاوية رضي اللَّه عنهما فقال السلف : من السنة السكوت عما شجر بين أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، وقال رسول اللَّه ﷺ : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »[1] .

ومعلوم أنه لا يأمرنا بالإمساك في ذكر محاسنهم ، وإنما أمرنا بالإمساك عن ذمهم .

وقال عمر بن عبد العزيز : وسئل عن أمر الحرب التي جرت بينهم فقال : تلك دماء كف اللَّه يدي فيها ، فلا أحب أن أغمس لساني فيها وأرجو أن يكونوا ممن قال اللَّه عز وجل فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[2] [الحجر : ٤٧] » .

وفي رواية عنه قال : « دماء لم أغمس فيها يدي أغمس فيها لساني ؟ » ، وفي أخرى : « دماء غَيَّب اللَّه عنها يدي أحضرها بلساني ؟ »[3] .

وقال أيضًا أبو القاسم الأصفهاني التيمي : « قال أهل السنة : الكف عن مساويء أصحاب محمد ﷺ سنة لأن تلك المساويء لم تكن عن الحقيقة مساويء فالصحابة رضي اللَّه عنهم كانوا أخير الناس وهم أئمة لمن بعدهم ، والإمام إذا لاح له الخير في شيء حتى فعله لا يجب أن يسمى ذلك الشيء إساءة ، إذ المساويء ما كان على اختيار في قصد الحق من غير إمام فكيف تعد أفعالهم مساوىء وقد أمر اللَّه بالاقتداء بهم .. طهر اللَّه قلوبنا من القدح فيهم وألحقنا بهم »[4] .

قال القرطبي رحمه اللَّه ذابًّا عن الصحابي الجليل عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه : « ... فمن نسبه أو واحدًا من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة مبطل

---

(١) حديث ثابت تقدم [انظر الصفحة : ١٧] .

(٢) الحجة في بيان المحجة [٥٢٦/٢] .

(٣) انظر قول عمر بن عبد العزيز هذا في الطبقات لابن سعد [٣٩٤/٥] ، والحلية [١١٤/٩] ، ومناقب الشافعي لابن أبي حاتم [٣١٤] وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر [١٧٧٨] .

(٤) المحجة [٥٠٦/٢] .

للقرآن طاعن على رسول الله ﷺ ، ومتى ألحق واحد منهم تكذيبًا فقد سب ، لأنه لا عار وعيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب ، وقد لعن رسول الله ﷺ من سب أصحابه فالمكذب لأصغرهم - ولا صغير فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله ﷺ وألزمها كل من سب واحدًا من أصحابه أو طعن عليه »[1] .

وقال أيضًا : « وقد تُعُبِّدْنا بالكف عما شجر بينهم وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهي النبي ﷺ عن سبهم وأن الله غفر لهم وأخبر بالرضى عنهم »[2] .

وقال العوام بن حوشب : « أدركت صدر هذه الأمة يقولون : اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى تألف عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجسروا الناس عليهم »[3] .

سأل يعقوب الإمام أحمد فقال : « يا أبا عبد الله ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله ؟ فقال أبو عبد الله : ما أقول فيها إلا الحسنى رحمهم الله أجمعين »[4] .

وقال ابن كثير : « ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا »[5] .

وقال أيضًا : « وأما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام فمنه ما وقع عن غير قصد كيوم الجمل ، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين . والاجتهاد يخطىء

---

(١) الجامع لأحكام القرآن [١٦/٢٨٥] .

(٢) المصدر السابق [١٦/٣٠٦] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن [١٨/٣٤] .

(٤) السنة للخلال [٤٦٠] .

(٥) البداية والنهاية [٨/١٢٩] .

ويصيب ، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضًا ، وأما المصيب فله أجران اثنان ، وكان علي وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه رضي اللّه عنهم أجمعين »[1] .

وسئل الإمام أحمد عما جرى بينهما فقرأ : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤١] .

قال ابن كثير معلقًا : « وكذا قال غير واحد من السلف »[2] .

ويرى أهل السنة والجماعة أن معاوية رضي اللّه عنه كان في قتاله مع علي مجتهدًا متأولًا ، وقد قال النبي ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر »[3] .

وقد تقرر في شرعنا الحنيف أن ما وقع بين الصحابة الكرام وجب القول فيه بحق وعدل وإنصاف ، هدى اللّه ووفق أهل السنة والجماعة لذلك فقالوا : خيرًا في جميع صحابة رسول اللّه ﷺ فعندهم أن المصيب مأجور والمتأول معذور ومن لم يقل فيهم خيرًا مأزور ، ومن رماهم بالثلب ابتلاه اللّه بموت القلب .

قال شيخ الإسلام : « اتفق أهل السنة على أنه لا تفسق واحدة من الطائفتين ، وإن قالوا في إحداهما : إنهم كانوا بغاة لأنهم كانوا متأولين مجتهدين ، والمجتهد المخطيء لا يكفر ولا يفسق ، وإن تعمد البغي فهو ذنب من الذنوب ، والذنوب يرفع عقابها بأسباب متعددة : كالتوبة ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، وشفاعة النبي ﷺ ، ودعاء المؤمنين وغير ذلك »[4] .

---

(١) اختصار علوم الحديث « الباعث الحثيث » [١٨٢] .

(٢) البداية والنهاية [١٣٣/٨] .

(٣) رواه البخاري [٧٣٥٢] ، ومسلم [١٧١٦] .

(٤) منهاج السنة [٣٩٤/٤] .

قال يزيد بن الأصم : « سئل علي عن قتلى يوم صفين فقال : قتلانا وقتلاهم في الجنة ويصير الأمر إليَّ وإلى معاوية »(١) .

قال النووي : « وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول رضي اللّه عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ، ولم يخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ؛ واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام :

○ قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده .

○ وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه .

○ وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليهم فكلهم معذورون رضي اللّه عنهم ، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي اللّه عنهم أجمعين »(٢) .

قال الجوزقاني عن معاوية : « تولى الإمارة عشرين سنة من قبل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، وأمير المؤمنين عثمان وتوفي سنة ستين من الهجرة في رجب ، فنحن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف [٥٥٢/٧] ، وذكر نحوه الذهبي في السير [١٤٤/٣] .
(٢) شرح مسلم [١٤٩/١٥] .

نقول : إن عثمان بن عفان رضي اللّٰه عنه لما قتل مظلومًا ، انعقدت الخلافة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه بإجماع من المسلمين ، فسمع معاوية رضي اللّٰه عنه وأطاع وطلب منه أن يقتل قتلة عثمان رضي اللّٰه عنه قصاصًا ، فامتنع من قتلهم ، لأن مذهبه رضي اللّٰه عنه أن لا يقتل الجماعة بالواحد ، فتأول معاوية حينئذ ، وطلب قتلة ابن عمه عثمان ، لأن عثمان بن عفان ابن أبي العاص ابن أُمية بن عبد شمس لقول اللّٰه تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] . الآية . فخرج يقاتل على التأويل ، وبايع له جمهور الصحابة ومن لا يحصى من التابعين إلى أن استقر الأمر على التحكيم بعد الحروب العظيمة ، فحكم له بالخلافة وبويع عليها يومئذ بإجماع ، وهذه قصة مشهورة »[(١)] .

قلت : الصواب أنه لم يحصل الإجماع على خلافته إلا بعد تنازل الحسن بن علي رضي اللّٰه تعالى عنه .

أما ما يحكى ويروى في كتب التواريخ مثل مهزلة التحكيم وتصوير عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنه بصورة الرجل الكائد المخادع الناقض للعهد ، وتصوير أبي موسى الأشعري بصورة الرجل المغفل المخدوع الذي لا يدري ما يدور حوله . ومثل حكايات لعن علي رضي اللّٰه تعالى عنه على منابر معاوية وغيرها من الأكاذيب والمختلقات فلا نشك جازمين أن ذلك مما دسه أعداء الإسلام في تاريخه كالروافض وغيرهم لتشويه سمعة الصحابة ليتأتى لهم إسقاط عدالتهم ودينهم ثم بعد ذلك ينقُضُوا الإسلام عُروة عُروة ، فعلينا أن نُخْضِعَ التاريخ ورواياته إلى ميزان المحدثين حتى نخلصّهُ مما دُسَّ فيه وشوه جمالية الإسلام ونقاءه .

فإن أغلب هذه الروايات التي فيها تنقيص الصحابة وخاصة معاوية هي من طريق الإخباري أبي مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق وغيره ممن هم على شاكلته ، فلا تغتر أخي القاريء بوجود مثل هذه الأخبار في كتب المؤرخين الكبار كالطبري

(١) الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير [ص : ١٠١] .

وغيره فهم قد ساقوا ذلك بأسانيدهم ومعلوم أنه من أسند لك فقد أحالك وبرئت ذمته . قال ابن العربي : « وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه ما لا يرضى اللّٰه ، وإذا لاحظتموه بعين المروءة - دون الديانة - رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين ، وفي الأقل جهل متين »[1] .

وبخصوص ما وقع في صفين أنقل لك أخي القارىء فصلًا من كتاب « عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام » لناصر بن علي عائض حسن الشيخ . فقد لخص ذلك من كتب التاريخ بروح متحررة فأجاد وأفاد جزاه اللّٰه خيرًا .

قال في الجزء [٢/٧١٧-٧٢٦] : « فقد دارت رحا الحرب فيها بين أهل العراق من أصحاب علي رضي اللّٰه تعالى عنه وبين أهل الشام من أصحاب معاوية بن أبي سفيان رضي اللّٰه عنهما ذلك أن عليًا رضي اللّٰه عنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة رضي اللّٰه عنها لما أرادت الرجوع إلى مكة ثم سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها وكان في نيته أن يمضي ليرغم أهل الشام على الدخول في طاعته كما كان في نية معاوية ألا يبايع حتى يقام الحد على قتلة عثمان رضي اللّٰه عنه ، أو يسلموا إليه ليقتلهم ، ولما دخل علي رضي اللّٰه عنه الكوفة شرع في مراسلة معاوية بن أبي سفيان رضي اللّٰه عنهما فقد بعث إليه جرير بن عبد اللّٰه البجلي ومعه كتاب أعلمه فيه : « باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ودعاه فيه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس فلما انتهى إليه جرير بن عبد اللّٰه أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان وإن لم يفعل لم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان رضي اللّٰه عنه فرجع جرير إلى عليّ فأخبره بما قالوا : وحينئذ خرج من الكوفة عازمًا على دخول الشام فعسكر بالنخيلة وبلغ معاوية أن عليًا قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له : اخرج أنت أيضًا بنفسك

---

(١) العواصم [ص : ١٧٥] .

فتهيأ أهل الشام وتأهبوا ، وخرجوا أيضًا : إلى نحو الفرات من ناحية صفين حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه وسار عليّ رضي اللَّه عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصدًا أرض الشام فالتقى الجمعان في صفين أوائل ذي الحجة سنة ست وثلاثين » .

ومكث علي يومين لا يكاتب معاوية ، ولا يكاتبه معاوية ، ثم دعا علي بشير ابن عمرو الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي فقال لهم : ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم فلما دخلوا على معاوية جرى بينه وبينهم حوار لم يوصلهم إلى نتيجة فما كان من معاوية إلا أن أخبرهم أنه مصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلومًا » .
ولما رجع أولئك النفر إلى علي رضي اللَّه عنه وأخبروه بجواب معاوية رضي اللَّه عنه لهم وأنه لن يبايع حتى يقتل القتلة أو يسلمهم » عند ذلك نشبت الحرب بين الفريقين واقتتلوا مدة شهر ذي الحجة كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ولما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن تقوم بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دمائهم » ثم في خلال هذا الشهر بدأت مساعي الصلح والمراسلة تتكرر بين الطرفين ولكن انسلخ شهر المحرم ولم يحصل لهم أي اتفاق ، ولم يقع بينهم صلح .

ثم نشبت الحرب بين الطائفتين أيامًا ثمانية وكان أشدها وأعنفها ليلة التاسع من صفر سنة سبع وثلاثين حيث سميت هذه الليلة « ليلة الهرير » تشبيهًا لها بليلة القادسية اشتد القتال فيها حتى توجه النصر فيها لأهل العراق على أهل الشام » وتفرقت صفوفهم وكادوا ينهزمون فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح وقالوا : هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس فَمَنْ لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ، ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ، فلما رأى الناس المصاحف قد رفعت قالوا : نجيب إلى كتاب اللَّه عز وجل ونيب إليه .

ولما رفعت المصاحف بالرماح توقفت الحرب ولما رفع أهل الشام المصاحف اختلف أصحاب علي رضي الله عنه وانقسموا عليه فمنهم : من رأى الموافقة على التحكيم ، ومنهم من كان يرى الاستمرار في القتال حتى يحسم الأمر ، وهذا كان رأي علي رضي الله عنه في بادئ الأمر ، ثم وافق أخيرًا على التحكيم » .

فتم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين وهو أن يحكِّم كل واحد منهما رجلًا من جهته ، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين فوكل معاوية عمرو بن العاص ووكل علي أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعًا ، ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين - كليهما - عهد الله وميثاقه أنهما على ما في ذلك الكتاب وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك فعلى تراض منهما وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحكمين أربعمائة من أصحابه ، فإن لم يجتمعا لذلك من العام المقبل بأذرح ولما كان شهر رمضان جعل الاجتماع كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصفين وذلك أن عليًا رضي الله عنه لما كان مجيء رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هانيء ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس وإليه الصلاة ، وبعث معاوية عمرو ابن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومعهم عبد الله بن عمر ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح وهي نصف المسافة بين الكوفة والشام بينه وبين كل من البلدين تسع مراحل ، وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري ، وأبو جهم بن حذيفة فلما اجتمع الحكمان وتراوضا على المصلحة للمسلمين ونظرا في تقدير أمور ثم اتفقا على أن

يكون الفصل في موضوع النزاع بين علي ومعاوية يكون لأعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم هذا ما اتفق عليه الحكمان فيما بينهما لا شيء سواه .

أما ما يذكره المؤرخون من أن الحكمين لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل وتفاوضا واتفقا على أن يخلعا الرجلين فقال عمرو بن العاص لأبي موسى : اسبق بالقول فتقدم فقال : إني نظرت فخلعت عليًا عن الأمر وينظر المسلمون لأنفسهم كما خلعت سيفي هذا من عنقي أو من عاتقي وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض ، وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال : إني نظرت فأثبت معاوية في الأمر : كما أثبت سيفي هذا في عاتقي وتقلده ، فأنكر أبو موسى فقال عمرو : كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف » .

فهذه الحكاية وما يشبهها من اختلاق أهل الأهواء والبدع الذين لا يعرفون قدر أبي موسى وعمرو بن العاص ومنزلتهما الرفيعة في الإسلام . قال أبو بكر بن العربي مبينًا كذب ذلك : « هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط ، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التاريخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله والبدع »(١) .

ولم يكتف الواضعون من أهل التاريخ بهذا بل وسَمُوا الحكمين بصفاتٍ يتخذون منها وسيلة للتفكه والتندر ، وليتخذ منها أعداء الإسلام صورًا هزيلة لأعلام الإسلام في المواقف الحرجة ، فقد وصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب غدر وخداع » ووصفوا أبا موسى بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعًا في القول كما وصفوه بأنه كان على جانب كبير من الغفلة » .

ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم حيث اتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى ، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية .. كل هذه الصفات

---

(١) العواصم [ص : ١٧٩] .

الذميمة يحاول المغرضون إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهم المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل الآلاف من المسلمين ، وكل ذي لب يعلم أن المسلمين لا يسندون الفصل في هذا الأمر إلى أبي موسى وعمرو بن العاص رضي اللّه عنهما إلا لعلمهم بما هما عليه من الفضل ، وأنهما من خيار الأمة المحمدية ، ومن أكثرهم ثقة وورعًا وأمانة فكيف يصف الغافلون هذين الرجلين بما وصفوهما به من المكيدة والخداع وضعف الرأي والغفلة ، ولكن تلك الأوصاف هي أليق بمن تفوه بها من أهل الأهواء ، وقد تجاهل أولئك الواصفون لأبي موسى وعمرو بما تقدم ذكره أمورًا لو دققوا النظر فيها لاستحيوا من ذكر تلك الأوصاف وتلك الأمور هي :

الأمر الأول : أنهم تجاهلوا أن معاوية لم يكن خليفة ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه أو تثبيتها له .

الأمر الثاني : أن سبب النزاع هو أخذ الثأر لعثمان رضي اللّه عنه من قتلته فلما طلب عليّ البيعة من معاوية « اعتل بأن عثمان قتل مظلومًا وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك ، والتمس من علي أن يمكنه منهم ثم يبايع له بعد ذلك » ، ومعنى هذا أن معاوية كان مسلمًا لعلي بالخلافة لأنه طلب منه بوصفه الخليفة تسليم القتلة ، أو إقامة الحد عليهم باعتباره أمير المؤمنين ، وكان رأي علي أن يدخل معاوية ومن معه من أهل الشام فيما دخل فيه الناس من البيعة له ، ثم يتقدم أولياء عثمان بالمحاكمة إليه « فإن ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه فاختلفوا بحسب ذلك » .

قال أبو محمد بن حزم مبينًا أن القتال الذى دار بين علي ومعاوية كان مغايرًا لقتال علي الخوارج حيث قال : « وأما أمر معاوية رضي اللّه عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي اللّه عنه لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهو الإمام

الواجبة طاعته فعليّ المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القَوْد من قتلة عثمان رضي اللّٰه عنه على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من ولد عثمان وولد الحكم بن أبي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما أمر رسول اللّٰه ﷺ عبد الرحمن بن سهل أخا عبد اللّٰه بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو أخو المقتول وقال له : كبر كبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابنا مسعود وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه » فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه وأصاب في ذلك الأثر الذي ذكرنا وإما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فله أجر الاجتهاد في ذلك ولا إثم عليه فيما حرم من الإصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين أخبر رسول اللّٰه ﷺ أن لهم أجرًا واحدًا وللمصيب أجران - إلى أن قال - وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله وإن كان منا وليس ذلك بمؤثر في عدالته وفضله ولا بموجب له فِسْقًا بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب علي رضي اللّٰه عنه وصحة إمامته وأنه صاحب الحق وأن له أجرين : أجر الاجتهاد وأجر الإصابة وقطعنا أن معاوية رضي اللّٰه عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرًا واحدًا » .

فابن حزم رحمة اللّٰه عليه يقرر في هذا النص أن النزاع الذي كان بين علي ومعاوية إنما هو في شأن قتلة عثمان وليس اختلافًا على الخلافة إذ إن معاوية رضي اللّٰه عنه لم ينكر فضل علي واستحقاقه للخلافة وإنما امتنع عن البيعة حتى يسلمه القتلة أو يقتلهم وكان علي رضي اللّٰه عنه يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك فتحكيمهما إذن إنما هو في محل النزاع ، وليس من أجل الخلافة .

الأمر الثالث : أن موقف أبي موسى الأشعري في التحكيم لم يكن أقل من موقف عمرو ابن العاص في شيء ، ولذلك عد المؤرخون المنصفون هذا الموقف

من مفاخر أبي موسى بعد موته بأجيال وصار مصدر فخر لأحفاده من بعده حتى قال ذو الرمة الشاعر مخاطبًا بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري بأبيات منها :

أبوك تلافى الدين والناس بعدما ... تشاءوا وبيت الدين منقطع الكسر

فشـد آصـار الدين أيـام أذرح ... ورد حـروبًا قد لقحـن إلى عقـر

فلم يول رضي اللَّه عنه في الفصل في قضية التحكيم إلا لما علم فيه من الفطنة والعلم وقدرته على حل المعضلات فقد ولاه النبي صلى اللَّه عليه وسلم هو ومعاذ ابن جبل قبل حجة الوداع على بلاد اليمن حيث بعث كل واحد منهما على مخلاف وأوصاهما عليه الصلاة والسلام بأن ييسرا ولا يعسرا وأن يبشرا ولا ينفرا وما توليته عليه الصلاة والسلام لأبي موسى إلا لعلمه بصلاحه للإمارة .

قال العلامة ابن حجر رحمه اللَّه عند شرحه لحديث بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذا إلى اليمن : « واستدل به على أن أبا موسى كان عالمًا فطنًا حاذقًا ، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة ولو كان فوض الحكم لغيره لم يحتج إلى توصيته بما وصاه به ، ولذلك اعتمد عليه عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوه إلى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة ، وأن عمرًا لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى ولم يخرج عما اتفقا عليه من تفويض الحسم في موضع النزاع إلى النفر الذين بقوا على قيد الحياة ممن توفي عنهم رسول اللَّه ﷺ وهو راض عنهم .

قال ابن كثير : « والحكمان كانا من خيار الصحابة وهما : عمرو بن العاص السهمي – من جهة أهل الشام ، والثاني : أبو موسى عبد اللَّه بن قيس الأشعري – من جهة أهل العراق ، وإنما نصبا ليصلحا بين الناس ويتفقا على أمر فيه رفق بالمسلمين وحقن لدمائهم ، وكذلك وقع » . وإذا كان قرارهما الذي اتفقا عليه لم يتم فما في ذلك تقصير منهما فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اجتهادهما

واقتناعهما ولو لم تكلفهما الطائفتان معًا بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ولا أبديا رأيًا فيها ، وكل ما تقدم ذكره في هذا المبحث عن موقعتي الجمل وصفين وقضية التحكيم هو اللائق بمقام الصحابة فهو خال مما دسه الشيعة الرافضة وغيرهم على الصحابة في تلك المواطن من الحكايات المختلقة والأحاديث الموضوعة ؛ ومما يعجب له الإنسان أن أعداء الصحابة إذا دعوا إلى الحق أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ونحن حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » اهـ.

قلت : أما عن الحديث الذي رواه مسلم أن رسول اللّه ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فالبغي هنا لا يستلزم الفسق وخاصة إن كان صاحبه متأولًا .

قال شيخ الإسلام في معرض كلامه على هذا الحديث : « قد تأوله بعضهم على أن المراد بالباغية الطالبة بدم عثمان ، كما قالوا : نبغي ابن عفان بأطراف الأسل ، وليس بشيء بل يقال ما قاله رسول اللّه ﷺ فهو حق كما قاله ، وليس في كون عمار تقتله الفئة الباغية ما ينافي ما ذكرناه فإنه قد قال اللّه تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۝١٠ ﴾ [الحجرات] . فقد جعلهم مؤمنين ، وليس كل ما كان بغيًا وظلمًا أو عدوانًا يخرج عموم الناس عن الإيمان ، ولا يوجب لعنتهم ؛ فكيف يخرج ذلك من كان من خير القرون ؟!

وكل من كان باغيًا ، أو ظالمًا ، أو معتديًا ، أو مرتكبًا ما هو ذنب فهو « قسمان » متأول ، وغير متأول ، فالمتأول المجتهد : كأهل العلم والدين ، الذين اجتهدوا ، واعتقد بعضهم حِلَّ أمور ، واعتقد الآخر تحريمها كما استحل بعضهم بعض أنواع الأشربة ، وبعضهم بعض المعاملات الربوية وبعضهم بعض عقود التحليل والمتعة ، وأمثال ذلك ، فقد جرى ذلك وأمثاله من خيار السلف . فهؤلاء المتأولون المجتهدون

غايتهم أنهم مخطئون ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، وقد ثبت في الصحيح أن اللّه استجاب هذا الدعاء .

وقد أخبر سبحانه عن داود وسليمان عليهما السلام أنهما حكما في الحرث ، وخص أحدهما بالعلم والحكم ، مع ثنائه على كل منهما بالعلم والحكم ، والعلماء ورثة الأنبياء ، فإذا فهم أحدهم من المسألة ما لم يفهمه الآخر لم يكن بذلك ملومًا ولا مانعًا لما عرف من علمه ودينه ، وإن كان ذلك مع العلم بالحكم يكون إثمًا وظلمًا ، والإصرار عليه فسق ، بل متى علم تحريمه ضرورة كان تحليله كفرًا ، فالبغي هو من هذا الباب .

أما إذا كان الباغي مجتهدًا ومتأولًا ، ولم يتبين له أنه باغ ، بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئًا في اعتقاده : لم تكن تسميته « باغيًا » موجبة لإثمه ، فضلًا عن أن توجب فسقه ، والذين يقولون بقتال البغاة المتأولين ؛ يقولون : مع الأمر بقتالهم قتالنا لهم لدفع ضرر بغيهم ، لا عقوبة لهم ، بل للمنع من العدوان ، ويقولون : إنهم باقون على العدالة ، لا يفسقون ، ويقولون هم كغير المكلف ، كما يمنع الصبي والمجنون والناسي والمغمى عليه والنائم من العدوان أن لا يصدر منهم ، بل تمنع البهائم من العدوان ، ويجب على من قتل مؤمنًا خطأ الدية بنص القرآن مع أنه لا إثم عليه في ذلك »[1] .

ثم قال : « ثم بتقدير أن يكون « البغي » بغير تأويل : يكون ذنبًا ، والذنوب تزول عقوبتها بأسباب متعددة : بالحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، وغير ذلك .

ثم قال : « إن عمارا تقتله الفئة الباغية » ليس نصًا في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه ، بل يمكن أنه أُريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلته ، وهي طائفة من العسكر ، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها . ومن المعلوم أنه

---

(١) الفتاوى [٣٥/٧٤،٧٥،٧٦] .

كان في المعسكر من لم يرض بقتل عمار : كعبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، وغيره : بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار ، حتى معاوية ، وعمرو »[١] .

ثم قال : « والمقصود أن هذا الحديث لا يبيح لعن أحد من الصحابة ، ولا يوجب فسقه »[٢] .

وقال الحافظ ابن كثير في معرض كلامه على الحديث الذي رواه مسلم وأحمد : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » .

قال : « فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا ، وهو مأجور إن شاء اللَّه ، ولكن عليًا هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر »[٣] .

قال الحافظ : « واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا اللَّه تعالى عن المخطيء في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا وأن المصيب يؤجر أجرين »[٤] .

---

(١) الفتاوى [ص : ٧٦-٧٧] .
(٢) المصدر السابق [ص : ٧٩] .
(٣) البداية [٧/٢٩٠] .
(٤) الفتح [١٣/٤٢] .

ورحم الله من قال :

وما جرى بين الصحاب نسكت عنه وأجـــر الاجتهـــاد نثبت

وقال أبو محمد بن حزم عن قتال علي معاوية رضي الله عنهما : « ولم يقاتله علي رضي الله عنه لامتناعه من بيعته لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام وهو الإمام الواجبة طاعته ، فعلي المصيب في هذا ، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القوَد من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه عن ولد عثمان وولد الحكم ابن أبي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن ابن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو أخو المقتول وقال له : « كبر كبر » .

وروى الكبر الكبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة أبناء مسعود وهما ابنا عم المقتول لأنهما كانا أسن من أخيه فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه وأصاب في ذلك الأثر الذي ذكرنا ، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فله أجر الاجتهاد في ذلك ولا إثم عليه فيما حرم من الإصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين أخبر رسول الله ﷺ أن لهم أجرًا واحدًا وللمصيب أجرين ولا عجب أعجب ممن يجيز الاجتهاد في الدماء وفي الفروج والأنساب والأموال والشرائع التي يدان الله بها من تحريم وتحليل وإيجاب ، ويعذر المخطئين في ذلك ويرى ذلك مباحًا الليث والبتي وأبي حنيفة والثوري ومالك والشافعي وأحمد وداود وإسحاق وأبي ثور وغيرهم كزفر وأبي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم وأشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الإنسان وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل

أو عمل عمل قوم لوط ، وغير هذا كثير وواحد منهم يبيح هذا الفرج ، وآخر منهم يحرمه كبكر أنكحها أبوها وهي بالغة عاقلة بغير إذنها ولا رضاها وغير هذا كثير ، وكذلك في الشرائع والأوامر والأنساب وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم ، وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضي اللّه عنهم ، وإنما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل الحر بالعبد وفيهم من لا يراه ، وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه فأي فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع عن أدائه وقاتل دونه فإنه يجب على الإمام أن يقاتله وإن كان منا وليس ذلك بمؤثر في عدالته وفضله ، ولا بموجب له فسقًا بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير ، فبهذا قطعنا على صواب علي رضي اللّه عنه وصحة إمامته وأنه صاحب الحق وأن له أجرين : أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة . وقطعنا أن معاوية رضي اللّه عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرًا واحدًا وأيضًا في الحديث الصحيح عن رسول اللّه ﷺ أنه أخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من أمته يقتلها أولى الطائفتين بالحق فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج من أصحاب علي وأصحاب معاوية فقتلهم علي وأصحابه فصح أنهم أولى الطائفتين بالحق ، وأيضًا الخبر الصحيح عن رسول اللّه ﷺ تقتل عمارًا الفئة الباغية »[1] .

وقال أيضًا : « فصح أن عليًا هو صاحب الحق والإمام المفترضة طاعته ، ومعاوية مخطىء مأجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو أبين وأوضح من هذا الأمر من أحكام الدين فربما رجع إذا استبان له وربما لم

(١) الفصل [٤/١٥٩-١٦١] .

يستبن له حتى يموت عليه وما توفيقنا إلا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا إله إلا هو »[1] .

وقال الحافظ الذهبي : « فنحمد الله على العافية التي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق واتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين وتبصرنا فعذرنا واستغفرنا ، وأحببنا باقتصاد وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور وقلنا كما علمنا الله ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الحشر : ١٠] . وترضينا أيضًا عمن اعتزل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق ، وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا عليًا وكفروا الفريقين ، فالخوارج كلاب النار قد مرقوا من الدين ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار كما نقطع به لعبدة الأصنام والصلبان »[2] اهـ .

أما ما يحكى ويروى في كتب التواريخ من تشويه سمعة معاوية رضي الله عنه وإظهاره بمظهر الرجل الماكر المخادع الشرس المحب للدنيا .. فلا نشك أن ذلك مما عملته أيدي الروافض الضلال .

قال محمد بن عمر بحرق الحضرمي ، المتوفى سنة ٩٣٠ : « يجب تعظيم كافة الصحابة رضي الله تعالى عنهم والكف عن القدح في منصبهم الجليل ، ويطلب المحامل الحسنة والتأويلات اللائقة بقدرهم فيما ينقل عنهم بعد العلم بصحة ذلك عنهم ، وعدم المسارعة إلى ما ينقله عنهم المؤرخون والإخباريون ، وأهل البدع الضالة المبطلون ، وإنما المعتمد على ما يورده العلماء الراسخون في علم الحديث والسير بالأسانيد المعتمدة فإذا صح ذلك وجب حمله على أحسن المحامل ، لأن تقريره يؤدي إلى مناقضة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، والخلف في قولهما

(١) الفصل [ص : ١٦٣] .

(٢) السير [١٢٨/٣] .

محال ، ثم يؤدي إلى هدم أركان الشرع من أصله والإزراء بشارعه وناقله وأهله ، لأن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا الشرع والتوحيد ، والنبوة والرسالة ، والإسلام والإيمان ، والصلاة والزكاة ، والصيام والحج ، والحلال والحرام إلى غير ذلك ، ومتى تطرقت الأوهام إلى القدح فيهم انخرمت عدالتهم ، وردت روايتهم وشهادتهم ، وصار هذا الدين الذي هو خير الأديان شر الأديان لكون حماله فسقة ، وكان القرآن مفترى ، وإلا كان قوله فيهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] . ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] ، ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] إلى غير ذلك زورًا وبهتانًا ، وكان الرسول متقولًا على اللّٰه وقوله : « أصحابي كالنجوم »[1] و « خيركم قرني »[2] و « ويحمل هذا العلم »[3] إلى غير ذلك إفكاً وباطلًا ، وكان الخير كله والصدق والنزاهة مع أعداء اللّٰه القادحين فيهم الذين حدثوا بعدهم وأحدثوا بدعهم ، لا مع اللّٰه ورسوله وأوليائه ، وصار جميع الأنبياء

(١) حديث موضوع ، راجع السلسلة الضعيفة [٥٨،٥٩،٦٠،٦١] وتمامه : « فبأيهم اقتديتم اهتديتم » .

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٢٨] ، ومسلم [٢٥٣٥] وتمامه : « ... ثم الذين يلونهم » وقال عمران : فما أدري قال النبي ﷺ بعد قوله مرتين أو ثلاثًا ، ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

(٣) رواه ابن عبد البر في التمهيد [٥٨/١] ، والعقيلي [٢٥٦/٤] ، وابن عدي [١٤٦/١] والخطيب في شرف أصحاب الحديث [ص : ٢٩] والبيهقي [٢٠٩/١٠] ورواه جمع من الصحابة وهو حسن بمجموع طرقه الكثيرة كما قرر ذلك الحافظان العلائي والسخاوي ، نقله جمال السيد في حاشية البدر المنير [٢١٨/١] من مخطوطة بالجامعة الإسلامية . وتمامه : « من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

والمرسلين المبشرين برسالة محمد ﷺ كذبة ، والكتب المنزلة عليهم من عند الله مختلقة ، وصار جميع العلماء الأحبار ، والعارفين بالله الأخيار ، من أول الدهر إلى آخر الأعصار ، على باطل وضلال ، لاتفاقهم على تصديق الصحابة فيما نقلوه وعملهم بعلمهم الذي عنهم حملوه ، إلى ما لا يحصر من الكفر والضلال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرًا ، وهذا في الحقيقة هم المقصود لهذه الفرقة الضالة ، التي ظاهر مذهبها الرفض ، وباطنها الكفر المحض ، وإلا فكيف يخطر بقلب من يدعي الإيمان الإزدراء بسادة المؤمنين ، وأركان الدين أو يتطرق إليه القدح فيهم آخذًا بقول من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، وعدولًا عن ثناء الله عليهم في مواضع عديدة ، في كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فأين قول القادح فيهم المنتقص لهم المزري بهم من قول الله تعالى الذي لا يبدل القول لديه ، ولا يتصور أن ينعكس مدحه ذمًا ، ولا رضاه سخطًا ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ [التوبة] .

وهذه الخيرات والفلاح والجنان المعدة لمن هي ؟ ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الحشر : ٨] الآيات ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وهذا الرضى الأبدي من المراد به ؟ ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] ، وهذه البيعة الرابحة من تولى عقدها ؟ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح : ٢٩]
وهذه الأوصاف الجميلة مَنْ هُوَ الموصوفُ بها ؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة : ٢٠] الآيات ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الفتح : ٢٦] .

يا عجبًا كيف تكون العصاة الفسقة بزعم الدعاة المرقة أحق بكلمة التقوى وأهلها ؟! هلَّا كانوا هم أحق بها وأهلها ، لزعمهم أنهم على الحق ، لا الصحابة وأتباعهم أغلط صدر من الباري جل وعلا ؟ حتى أعطى القوس غير باريها ، أم سهوٌ حصلَ ممن لا يضِلُّ ولا يَنْسَى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وبادي الأمور وخافيها حتى يقول فيهم ذلك ، مع علمه بما سيكون منهم من التبديل والتحريف .. كلا واللَّه بل كان اللَّه بكل شيء عليمًا ، وكانوا هم أحق بها وأهلها أزلًا وأبدًا ، وعِلْمُ اللَّه لا يتبدل ، واللَّه أعلم حيث يجعل رسالاته ، ثم كيف أطنب في مدحهم في كتابه ، وعلى لسان رسوله وهو يعلم ما يصدر منهم من التعاون على الظلم والعدوان ، وقول الزور والبهتان ، قبل أن يدفنوا نبيهم ويجهزوه أغش منه لرسوله المحبوب مع ما له عنده من المكانة !! أو عجزت قدرته النافذة عن أن يختار لرسوله من يصحبه بالصدق ، ويؤدي شرعه بالأمانة !! أم أنزل كتابه وأرسل رسوله للإضلال لا للإرشاد حتى مدح فيه من هو مذموم عنده من العباد ، فاعْتبِرُوا يا أولي القلوب والأبصار ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾[1] [هود] .

ولنختم الكلام حول هذا الموضوع بوصية نفيسة من ابن العربي المعافري رحمه اللَّه قال : « فأعرضوا عن الغاوين وازجروا العاوين وعرجوا عن سبيل الناكثين إلى سنن

(١) في كتابه الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول ، المخطوط [ص ١٢ إلى ١٥] .

المهتدين وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين ، وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم ، فقد هلك من كان أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم خصمه ، دعوا ما مضى فقد قضى اللَّه فيه ما قضى وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادًا وعملًا ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ماجنٍ اتخذ الدينَ هملًا ، فإن اللَّه لا يضيع أجر من أحسن عملًا ، ورحم اللَّه الربيع بن خثيم فإنه لما قيل له قتل الحسين ، قال : أقتلوه ؟ قالوا : نعم ، فقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ولم يزد على هذا أبدًا . فهذا العقل والدين والكف عن أحوال المسلمين والتسليم لرب العالمين »[1] .

(١) العواصم من القواصم [ص : ١٨٢] .

بعض الأشعار في وجوب تعظيم قدر الصحابة ووجوب الكف عن الخوض فيما جرى بينهم وبيان ضلال سابّهم ومبغضهم

قال الإمام أبو بكر بن أبي داود في قصيدته المتواترة عنه كما ذكر الإمام الذهبي ، مختصر العلو [ص : ٢٢٩] .

وقل إن خـــير النـــاس بعد محمد ... وزيراه قدما ثم عثمـــــان أرجح

ورابعهـــم خـــير البرية بعـــدهم ... علي حليف الخـــير بالخير منجح

وإنهم الرهـــــط لا ريب فيهـــم ... على نجب الفردوس في الخلد تسرح

سعيد وسعد وابن عــوف وطلحة ... وعــامر فهــر والزبير الممــــدح

وسبطي رســول اللّه وابن خديجة ... وفاطمـــــة ذات النقا أمــــدح

وعائشـــــة أم المؤمنـــين وخالنــــا ... معــــــاوية أكرم به ثم امنـــح

وأنصـــاره والمهاجــرون ديارهــم ... بنصـــرتهم عن كبة النار زحـزحوا

ثم قال :

وقل خيرًا في الصــــحابة كلهم ... ولا تك طعانا تعيب وتجــــرح

فقد نطــق الوحي المبين بفضــلهم ... وفي الفتح أي للصــــحابة تمدح

انظر هذه القصيدة بطولها في « الكتاب اللطيف لابن شاهين [٢٥٤] » ، وفي سير أعلام النبلاء [١٣/٢٣٣] . والأبيات من قوله : « وسبطي رسول اللّه ... إلى قوله : عن كبة النار زحزحوا » ثابتة في الكتاب اللطيف دون السير .

قال أبو محمد عبد اللّه القحطاني الأندلسي في نونيته :

إن الروافض شر من وطيء الحصى ... من كل إنس ناطـــق أو جــــان

ثم قال :

قل خـــير قول في صحابة أحمد ... وامدح جميـــع الآل والنســـوان

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى ... بســـيوفهم يوم التقى الجمعـــان

فقتيلهـــــم منهم وقاتلهـــم لهم وكلاهما في الحشــــر مرحومان

واللَّه يوم الحشـــر يـــنزع كل ما تحوي صـــدورهم من الأضـغان

ثم قال :

لا تركنن إلى الروافـض إنهــــم شـتموا الصـحابة دون ما برهان

لعنوا كما بغضـــوا صحابة أحمد وودادهم فرض على الإنســـــان

حب الصـــحابة والقـــرابة سنة ألقى بهـــــا ربي إذا أحيـــاني

وقال الإمام أبو عمرو الداني رحمه اللَّه في « المنبهة » :

وليس من أصـــــحابه إنســــان إلا وقد فضله الرحمان

وكلهم أئمـــــــــة في الدين وفي الكتاب المنزل المبين

وقال أيضًا :

وحب أصــــحاب النبي فرض ومدحهـــــم تزلف وفـــرض

وأفضــــل الصحابة الصـــديق وبعـــــده المهذب الفـــاروق

وبعده عثمان ذو النــــــورين وبعده علي أبو الســـــبطين

وبعد هؤلاء باقي العشـــــرة الأتقيـــاء المرتضــــين البررة

أهل الخشـــوع والتقى والخوف طلحة والزبـــير وابن عـــوف

ثم ســـعد بعدهم وعامـــــر ثم ســـعيد بن نفيل العاشـــر

وســـــائر الصحب فهم أبــرار منتخبــــون سادة أخيـــــار

وربنـــــــا جللهم إنعـــــامه وخصهم بالفضــــــل والكرامة

وقال أيضًا :

وفَضِّـــــل الصــــحابة الأبرار وقدم الأصـــــهار والأنصـــار

وأبغض البـــــــدعي والمخالفا ومن تراه لهمــــــــا مخالفا

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه اللَّه في « سلم الوصول » عن الصحابة :

فكلهم فى محـــــكم القـــرآن أثنى عليهم خـــالق الأكـــوان

في الفتح والحـــديد والقتـــال وغـــيرها بأكمل الخصـــال

بعض الأشعار في وجوب تعظيم قدر الصحابة ووجوب الكف عن الخوض فيما جرى بينهم وبيان ضلال سابّهم ومبغضهم

قال الإمام أبو بكر بن أبي داود في قصيدته المتواترة عنه كما ذكر الإمام الذهبي ، مختصر العلو [ص : ٢٢٩] .

وقل إن خـــير النـــاس بعد محمد   وزيراه قدما ثم عثمـــــان أرجح
ورابعهـــم خـــير البرية بعــــدهم   علي حليف الخـــير بالخير منجح
وإنهم الرهــــــط لا ريب فيهـــم   على نجب الفردوس في الخلد تسرح
سعيد وسعد وابن عــوف وطلحة   وعـــامر فهـــر والزبير الممـــــدح
وسبطي رســول اللّه وابن خديجة   وفاطمــــــة ذات النقا أمـــــدح
وعائشـــــة أم المؤمنـــين وخالنـــا   معــــــاوية أكرم به ثم امنــــح
وأنصـــاره والمهاجـــرون ديارهـــم   بنصـــرتهم عن كبة النار زحزحوا

ثم قال :

وقل خيرًا في الصــــــحابة كلهم   ولا تك طعانا تعيب وتجــــــرح
فقد نطــق الوحي المبين بفضـــلهم   وفي الفتح أي للصــــــحابة تمدح

انظر هذه القصيدة بطولها في « الكتاب اللطيف لابن شاهين [٢٥٤] » ، وفي سير أعلام النبلاء [١٣/٢٣٣] . والأبيات من قوله : « وسبطي رسول اللّه ... إلى قوله : عن كبة النار زحزحوا » ثابتة في الكتاب اللطيف دون السير .

قال أبو محمد عبد اللّه القحطاني الأندلسي في نونيته :

إن الروافض شر من وطىء الحصى   من كل إنس ناطـــق أو جـــان

ثم قال :

قل خـــير قول في صحابة أحمـد   وامدح جميـــع الآل والنســـوان
دع ما جرى بين الصحابة في الوغى   بســـيوفهم يوم التقى الجمعــــان

فقتيلهـــم منهم وقاتلهـــم لهم   وكلاهما في الحشـــر مرحومان
واللَّه يوم الحشـــر يـــنزع كل ما   تحوي صـــدورهم من الأضـغان

ثم قال :

لا تركنن إلى الروافـض إنهـــم   شـتموا الصـحابة دون ما برهان
لعنوا كما بغضـــوا صحابة أحمد   وودادهم فرض على الإنســـان
حب الصـــحابة والقـــرابة سنة   ألقى بهـــا ربي إذا أحيـــاني

وقال الإمام أبو عمرو الداني رحمه اللَّه في « المنبهة » :

وليس من أصـــحابه إنســـان   إلا وقد فضله الرحمان
وكلهم أئمـــــة في الدين   وفي الكتاب المنزل المبين

وقال أيضًا :

وحب أصـــحاب النبي فرض   ومدحهـــم تزلف وفـــرض
وأفضـــل الصحابة الصـــديق   وبعـــده المهذب الفـــاروق
وبعده عثمان ذو النــــورين   وبعده علي أبو الســــبطين
وبعد هؤلاء باقي العشـــــرة   الأتقيـــاء المرتضـــين البررة
أهل الخشـــوع والتقى والخوف   طلحة والزبـــير وابن عـــوف
ثم ســـعد بعدهم وعامـــر   ثم ســـعيد بن نفيل العاشـــر
وســـائر الصحب فهم أبـرار   منتخبـــون سادة أخيـــار
وربنـــا جللهم إنعـــامه   وخصهم بالفضــــل والكرامة

وقال أيضًا :

وفَضِّــــل الصــــحابة الأبرار   وقدم الأصـــهار والأنصـــار
وأبغض البـــــدعي والمخالفا   ومن تراه لهمــــا مخالفا

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه اللَّه في « سلم الوصول » عن الصحابة :

فكلهم فى محـــكم القـــرآن   أثنى عليهم خـــالق الأكـــوان
في الفتح والحـــديد والقتـــال   وغـــيرها بأكمل الخصـــال

كذاك في التـــوراة والإنجيـــل صـــفاتهم معلومة التفصـــيل

وذكرهم في ســـنة المختـــار قد سـار سير الشمس في الأقطـار

ثم السكوت واجب عما جـرى بينهموا من فعـــل ما قد قدرا

فكلهم مجتهـــد مثـــاب وخطـــؤهم يغفره الوهـــاب

وقال أحمد بن مشرف الإحسائي في نظم مقدمة ابن أبي زيد :

وواجب ذكر كل من صـــحابته بالخير والكف عما بينهم شـــجرا

فلا تخض في حـروب بينهم وقعت عن اجتهاد وكن إن خضت معتذرا

والاقتـــداء بهم في الدين مفترض فاقتد بهم واتبع الآثار والســـورا

وقال عبد اللّٰه بن الحاج في نظم رسالة ابن أبي زيد :

ولا يجـــوز ذكر شخص مقتني صـــحبته إلا بذكر حسن

ويجب الإمســـاك عما شـــجرا بينهم فهم أحـــق أن يرى

أحسن مخـــرج لهم وأن يظـن أحسن مذهب بهـم فهو الحسن

وقال سلمان الحكمي الفيفي في نظم الطحاوية :

نحب أصـــحاب النبي كلهـــم ونشهد اللّٰه على إجــــلالهم

فحبهـــم يا صاحبي إيمـــان وبغضـــهم الكُفْرُ والخســـران

ولا تسب صاحبا أو صـــاحبه وليس في القلب لهم من شـــائبه

وكلهم أفضـــل خلق اللّٰه بعـد النبي فاســـتفق يا لاهي

يا ويل أهـل الرفض والنواصـب من أكلهم لحـوم أصحاب النبي

إن الإله ليغيـــظ الكافـــر بصحب ذلك النبي الطـــاهر

ثم قال :

ونحسن القـــول في الصحب ولا نوالي الجـــافي أو من قد غـــلا

اختـــارهم ذو الفضل والانعـــام لصـــحبة المبعـــوث للأنام

محبـــة الصحب من الإيمـــان وبغضـهم من أعظم الخســـران

إيماننـــا من حســـناتهم أتى فاســـتغفر اللّٰه وارض يا فتى

عن صـــحب أحمـــد النبي المجتبى الصـــادقين الصـــابرين النُجبَا

وقال آخر :

حب الرســـول دليل حب الخـالق هـــذا لهذا كاللســـان الناطق

ودليل حبـــك فيه حبـــك صحبه إن لم تحبهـــم فلست بصـــادق

فإذا وفيت بحبـــه وبحبهـــم فات الجنـــان ولا تخف من عائق

وقال صاحب الشيبانية :

ونشـــهد أن اللّه خص رســـوله بأصـــحابه الأبرار فضـــلًا وأيدا

فهم خـــير خلق اللّه بعد أنبيـــائه بهم يقتدي في الدين كل من اقتدى

ثم قال :

فكلهـــم أثنى الإله عليهـــم وأثنى رســـول اللّه أيضًا وأكـدا

فلا تك عبدًا رافضـــيا فتعتـــدي فويل وويل في الورى لمن اعتـدى

ثم قال :

ونسكت عن حـرب الصحابة فالذي جـرى بينهم كان اجتهادا مجـردا

وقد صـح في الأخبـــار أن قتيلهم وقاتلهم في جنـــة الخلد خلدا

وقال آخر :

وما شـــجر بين عـــلي الرضى وبين أصـــحاب النبي المرتضى

من الحـــــروب فله تأويل مفصـــل محقق جميـــل

لعلمـــه المعنى بالأصـــول وطرق الأخبـــار والتـــأويل

وكل مجتهـــد وفاضـــل مـــنزه عما يظن الجاهـــل

فلا يخوضـــن عـــوام الخلق في أمـــرهم لجهلهم بالحـــق

فهم أحـــق الناس بالظـــن الحسن وحمـــل أمرهم على أهـــوى سنن

إذ كل أصـــحاب رســـول اللّه عـــدل رضى في كتب اللّه

وفي الأحاديث عن الرســـول وما أتى عنهم من الجميـــل

وقال آخر :

ومن حقـــــوق الملة التعفـــف　　عن ذم إخـــوان لنـــا قد سلفوا

من عترة النبي والأصـــــحاب　　والتابعـــين من ذوي الألبـــاب

إلى أن قال :

فالطعن في أئمـــة الأســـلاف　　خلق لئام الخلق والأجـــلاف

وقال السفاريني في الدرة المضيئة :

وليس في الأمـــة كالصـــحابة　　في الفضـــل والمعروف والإصـــابة

فإنهم قد شـــاهدوا المختـــارا　　وعاينـــوا الأســـرار والأنوارا

وجاهـــدوا في اللّه حتى بانا　　دين الهـــدى وقد ســما الأديانا

وقد أتى في محــــكم التنزيل　　من فضلهم ما يشـــفي للغليـــل

وفي الأحـــاديث وفي الآثار　　وفي كلام القوم والأشـــعار

ما قد ربا من أن يحيـــط نظمي　　عن بعضـــه فاقنـــع وخذ من علم

وما قيل أيضًا في تعظيم قدر الصحابة وهجو الروافض الأنجاس الأرجاس وبيان خبث طويتهم وسوء نحلتهم وفساد مسلكهم ما أنشده عباد بن بشار رحمه اللّه ، قال :

حتى متى عبرات العـــين تنحـــدر　　والقلب من زفرات الشـــوق يستعر

والنفس طائرة والعـــين ســـاهرة　　كيف الرقاد لمن يعتـــاده السهر

يا أيها الناس إني ناصـــح لكم　　كونوا على حذر قد ينفع الحـــذر

إنّي أخاف عليـــكم أن يحل بكم　　من ربكم غير ما فوقهـــا غير

ما للروافض أضحت بين أظهـــركم　　تســـير آمنة ينزو بها البطـــر

تؤذي وتشـــتم أصحاب النبي وهم　　كانوا الذين بهم يســـتنزل المطر

مهاجرون لهم فضـــل بهجرتهم　　وآخـــرون هم آووا وهم نصـــروا

كيف القـــرار على من قد تنقصهم　　ظلمًا وليس لهم في الناس منتصـــر

إنا إلى اللّه من ذل أراه بـــكم　　ولا مرد لأمر ســـاقه القـــدر

حتى رأيت رجالًا لا خـــلاق لهم　　من الروافض قد ضلوا وما شـــعروا

إني أحاذر أن ترضــــوا مقالتهـــم أو لا فهــل لكم عذر فتعتـــذروا

رأى الروافض شــتم المهتــدين فما بعد الشـــتيمة للأبرار ينتظـــر

لا تقبلوا أبدا عـــذرا لشـــاتمهم إن الشــتيمة أمر ليس يغتفـــر

ليس الإله براض عنهـــــم أبدا ولا الرســـول ولا يرضى به البشر

الناقضون عرى الإســلام ليس لهم عند الحقــــائق إيراد ولا صــدر

والمنكرون لأهل الفضــــل فضلهم والمفــــترون عليهم كلما ذكروا

قد كان عن ذا لهم شغل بأنفسهم لو أنهم نظــــروا فيما به أمروا

لكن لشقوتهم والحـــين يصرعهم قالوا ببدعتهـــــم قولًا به كفروا

قالوا وقلنا وخير القول أصـــدقه والحق أبلج والبهتان منشـــمر

وفي علي وما جاء الثقـــات به من قوله عبر لو أغنت العـــبر

قال الأمـــــير علي فـوق منبره والراسخون به في العلم قد حضروا

خـــير البرية من بعـد النبي أبو بكر وأفضلهم من بعده عمـــر

والفضـــل بعد إلى الرحمـــن يجعــله فيمن أحب فإن اللّه مقتدر

هذا مقــــال علي ليس ينــكره إلا الخليــع وإلا الماجن الأشـــر

فارضـــوا مقالته أو لا فموعـدكم نار توقــد لا تبـــقي ولا تذر

وإن ذكرت لعثمـــان فضـــائله فلن يكون من الدنيــا لها خطــر

وما جهلت عليًا في قرابتـــــه وفي منازل يعشــــو دونها البصر

إن المنــازل أضحت بين أربعـــة هم الأئمة والأعــــلام والغرر

أهل الجنـــان كما قال الرسول لهم وعدا عليه فلا خلف ولا غـــدر

وفي الزبير حـــــواري النبي إذا عـــدت مآثره زلفى ومفتخـــر

واذكر لطلحة ما قد كنت ذاكــره حسن البــــلاء وعند اللّه مدكر

إن الروافض تبدي من عداوتهـــا أمرا تقصـــــر عنه الروم والخزر

ليست عداوتهـــا فينا بضـــائرة لا بل لها وعليها الشــين والضرر

لا يســتطيع شفا نفس فيشـــفيها من الروافض إلا الحيـــة الذكر

ما زال يضــــربها بالذل خالقهـا حتى تطاير عن أفحاصها الشـــعر

داو الروافض بالإذلال إن لها داء الجنون إذا هاجت بها المرر
كل الروافض حمر لا قلوب لها صم وعمي فلا سمع ولا بصر
ضلوا السبيل أضل الله سعيهم بئس العصابة إن قلوا أو إن كثروا
شين الحجيج فلا تقوى ولا ورع إن الروافض فيها الداء والدبر
لا يقبلون لذي نصح نصيحته فيها الحمير وفيها الإبل والبقر
والقوم في ظلم سود فلا طلعت مع الأنام لهم شمس ولا قمر
لا يأمنون وكل الناس قد أمنوا ولا أمان لهم ما أورق الشجر
لا بارك الله فيهم لا ولا بقيت منهم بحضرتنا أنثى ولا ذكر

بعض أقوال علماء الجرح والتعديل فيمن يسب الصحابة

كان عبد اللّه بن المبارك يقول على رؤوس الناس « دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف »(١) .

وقال هناد السري : « مات عمرو بن ثابت فلما مر بجنازته فرآها ابن المبارك دخل المسجد وأغلق عليه بابه حتى جاوزته »(٢) .

وقال فيه يحيى بن معين : « ليس بثقة ولا مأمون ، لا يكتب حديثه ، وقال في موضع آخر : ليس بشيء »(٣) .

وقال فيه أبو حاتم الرازي : « كان رديء الرأي شديد التشيع »(٤) .

وقال أبو عبيد الآجري : « سألت أبا داود عن عمرو بن ثابت ابن أبي المقدام فقال : « رافضي خبيث » .

وقال أيضًا : « رجل سوء » . وقال كذلك : « من شرار الناس »(٥) .

وقال هناد السري : « لم أصل عليه »(٦) .

قال يحيى بن معين – لما سئل عن يونس بن خباب – فقال : ليس بثقة ، كان يشتم أصحاب النبي ﷺ ومن شتم أصحاب النبي ﷺ فليس بثقة (٧) .

(١) مقدمة صحيح مسلم [١/١٦] ، التهذيب للمزي [٢١/٥٥] ، الضعفاء للعقيلي [٣/٢٦٢] .

(٢) الضعفاء للعقيلي [٣/٢٦١] ، تهذيب الكمال [٢١/٥٥٦] .

(٣) تهذيب الكمال [٢١/٥٥٦] ، الضعفاء للعقيلي [٣/٢٦٢] .

(٤) الجرح والتعديل [٦/٢٢٣] .

(٥) تهذيب الكمال [٢١/٥٥٧] .

(٦) المصدر السابق .

(٧) سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين [ص : ١١٤] .

وقال أيضًا : « رجل سوء كان يشتم عثمان »[1] .

وقال الإمام أحمد : « كان خبيث الرأي »[2] .

وقال فيه الجوزجاني : « كذاب مفتر »[3] .

وقال أبو داود : « شتام لأصحاب رسول اللَّه ﷺ »[4] .

وقال العجلي : « شيعي خبيث »[5] .

وقال الدارقطني : « رجل سوء فيه شيعية مفرطة »[6] .

وقال البخاري : « منكر الحديث »[7] .

وقال يعقوب : « وهو رجل سوء »[8] .

وقال ابن حبان : « وكان رجل سوء غاليًا في الرفض » ، ثم قال : « لا تحل الرواية عنه لأنه كان داعية إلى مذهبه »[9] .

وقال ابن عدي في ترجمة إسماعيل بن موسى الفزاري : « سمعت عبدان الأهوازي يقول : سمعت أبا بكر بن أبي شيبة ، أو هناد بن السري أنكر علينا ذهابنا إلى إسماعيل هذا ، وقال : إيش علمتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف »[10] .

---

(١) تهذيب الكمال [٥٠٦/٣٢] .

(٢) العلل [٤١٩/١] .

(٣) أحوال الرجال [ص : ٤٨] .

(٤) تهذيب الكمال [٥٠٦/٣٢] .

(٥) تاريخ الثقات [١٨٨٣] .

(٦) الميزان [٤٧٩/٤] .

(٧) تهذيب الكمال [٥٠٦/٣٢] .

(٨) المعرفة [٩٨/٣] .

(٩) المجروحين [١٤٠/٣] .

(١٠) الكامل [٣١٩/١] .

وكان عمرو بن عبيد ممن اجتمعت فيه البلايا والرزايا إذ جمع بين بدعة الاعتزال وبدعة القدر وجريمة شتم الصحابة ولكن علماءنا وأئمتنا جزاهم الله خيرًا تصدوا لبدعته وكشفوا عواره وحذروا من نحلته حتى بلغ ذلك بابن عون رحمه الله أن هجر وأعرض عن رجل رآه يمشي مع عمرو بن عبيد شهرين(١) .

وقال ابن حبان : « كان عمرو بن عبيد داعية إلى الاعتزال ويشتم أصحاب رسول الله ﷺ ويكذب مع ذلك في الحديث توهمًا لا تعمدًا »(٢) .

وقال فيه يحيى بن معين : ليس بشيء (٣) .

وقال الإمام أحمد : ليس بأهل يحدث عنه (٣) .

وقال عمرو بن علي : متروك الحديث صاحب بدعة (٣) .

وهذا المغيرة بن سعيد البجلي « كان رافضيًا خبيثًا كذابًا ساحرًا ، ادعى النبوة وفضل عليًا على الأنبياء وكان مجسمًا » .

كما يقول عنه الذهبي : قتله الأمير خالد القسري لزندقته . قال الأعمش : « أول من سمعته يتنقص أبا بكر وعمر المغيرة المصلوب » .

وقال ابن عدي : « لم يكن بالكوفة ألعن من المغيرة بن سعيد فيما يروى عنه من الزور عن علي ، هو دائم الكذب على أهل البيت » .

وقال الدارقطني : « دجال أحرق بالنار زمن النخعي ، ادعى النبوة » .

وقال عبد الله بن صالح العجلي حدثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن – وهو من آل بيت رسول الله ﷺ – فذكر من قرابتي وشبهي وأمله في ، ثم ذكر أبا بكر وعمر فلعنهما ، فقلت : يا عدو الله أعندي ؟ قال : فخنقته خنقًا حتى أدلع لسانه »(٤) .

---

(١) ابن وضاح [١١٢] .

(٢) المجروحين [٦٩/٢] .

(٣) تهذيب الكمال [١٢٤/٢٢] .

(٤) انظر الميزان [١٦٠/١-١٦١] ، السير [٤٢٦/٥] ، الضعفاء والمتروكين [٢٢٥] .

وهذا إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي قال عنه أبو همام السكوني : « سمعت إبراهيم بن أبي يحيى يشتم بعض السلف » ، وقال يحيى القطان : « سألت مالكًا عن إبراهيم بن أبي يحيى أثقة في الحديث ؟ قال : لا ولا ثقة في دينه » .

وقال أحمد بن حنبل : « قدري جهمي كل بلاء فيه ، تركوا حديثه » . وقال سفيان بن عيينة : « احذروا إبراهيم بن أبي يحيى لا تجالسوه » . وقال الجوزقاني : « فيه ضروب من البدع فلا يشتغل بحديثه وإنه غير مقنع ولا حجة »[1] .

---

(١) تهذيب الكمال [١٨٤/٢] ، السير [٤٥٠/٨] .

عدالة جميع الصحابة بدون استثناء عند المحدثين

قال الحافظ ابن حجر : « اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة »[1] .

قال الخطيب : باب ما جاء في تعديل اللَّه ورسوله للصحابة « وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنه وإنما يجب فيمن دونهم » . - ثم قال - : « عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل اللَّه لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن » . - ثم ساق نصوصًا في ذلك - إلى أن قال : « والأخبار فى هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد فى نص القرآن ، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل اللَّه تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية ، والخروج من باب التأويل ، فيحكم بسقوط العدالة وقد برأهم اللَّه من ذلك ، ورفع أقدارهم عنه ، على أنه لو لم يرد من اللَّه عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد والنصرة ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين ، القطع على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل جميع هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء »[2] اهـ .

قال القرطبي : « فالصحابة كلهم عدول أولياء اللَّه تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله ، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم »[3] .

---

(١) الإصابة [١/١٠] .

(٢) الكفاية [٤٦،٤٧] .

(٣) الجامع لأحكام القرآن [١٦:٢٨٥-٢٨٦] .

قال ابن عبد البر : « ثبتت عدالة جميعهم بثناء اللّٰه عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام ، ولا أعدل ممن ارتضاه اللّٰه لصحبة نبيه ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منه »[1] .

وقال في التمهيد : « ... جميعهم ثقات مأمونون عدل رضى ، فواجب قبول ما نقل كل واحد منهم وشهد به على نبيه ﷺ ... » ثم قال : « وهم أولو العلم والدين والفضل ، وخير أمة أخرجت للناس ، وخير القرون ، ومن قد رضي اللّٰه عنهم ، وأخبر بأنهم رضوا عنه ، وأثنى عليهم بأنهم الرحماء بينهم ، الأشداء على الكفار ، الركع السجود ، وأنهم الذين أوتوا العلم .

قال مجاهد وغيره في قول اللّٰه عز وجل : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ : ٦] . قال أصحاب محمد ﷺ إلى كثير من ثناء اللّٰه عز وجل عليهم واختياره إياهم لصحبة نبيه ﷺ »[2] .

قال ابن كثير : « والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى اللّٰه عليهم في كتابه العزيز وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول اللّٰه ﷺ رغبة فيما عند اللّٰه من الثواب الجزيل والجزاء الجميل » . ثم قال : « وقول المعتزلة الصحابة عدول إلا من قاتل عليًا قول باطل مرذول ومردود »[3] .

قال ابن الصلاح في مقدمته : « للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم بل ذلك مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة ، قال اللّٰه تبارك وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . الآية ، قيل : اتفق المفسرون

---

(١) الاستيعاب [١/٢] .

(٢) فتح البر [١/١٨٠-١٨٢] .

(٣) مختصر علوم الحديث الباعث الحثيث - [١٨١] .

على أنه وارد في أصحاب رسول الله ﷺ وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٢] . وهذا خطاب مع الموجودين حينئذ ... » .

ثم قال : « إن الأمة مُجْمِعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم ، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحسانًا للظن بهم ونظرا إلى ما تَـمَهَّدَ لهم من المآثر وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم »[١] .

قال ابن حزم رحمه الله : « وكلهم عدل إمام فاضل رضى »[٢] .

قال الحافظ الذهبي : « فأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوي وإن جرى ما جرى ، إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل ، وبه ندين الله تعالى »[٣] .

قال النووي : « الصحابة كلهم عدول ، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به »[٤] .

وقال العراقي : « إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم وأما من لابس الفتن منهم ، وذلك من حين مقتل عثمان ، فأجمع من يعتد به أيضًا في الإجماع على تعديلهم إحسانًا للظن بهم وحملًا لهم في ذلك على الاجتهاد »[٥] .

وقال السخاوي : « وهم رضي الله عنهم باتفاق أهل السنة عدول كلهم مطلقًا كبيرهم وصغيرهم ، لابس الفتنة أم لا . وجوبًا لحسن الظن ونظرًا إلى ما تمهد لهم من المآثر من امتثال أوامره بعده وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم

---

(١) التقييد والإيضاح [٣٠١] .

(٢) الإحكام [٨٩/٥] .

(٣) الرواة الثقات المتكلم فيهم [ص : ٤] .

(٤) التقريب - تدريب الراوي - [٢١٤/٢] .

(٥) التبصرة والتذكرة [١٣/٣-١٤] .

الناس ، ومواظبتهم على الصلاة والزكاة وأنواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والإثار والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة »[1] .

وقال ابن الجزري في منظومته « الهداية في علوم الرواية » :

أما الصحابي فكل مسلم — رأى النبي على الصحيح فيهم
وهم بالإجماع عدول أجمع — أفضلهم فالخلفاء الأربع

وقال آخر :

إذ كل أصحاب رسول اللّه — عدل رضى في كتب الإله
وفي الأحاديث عن الرسول — وما أتى عنهم من الجميل

أجمع صالحو هذه الأمة وعلى رأسهم السلف الكرام على استهجان واستقباح النيل من أحد الصحابة ، وهجروا فاعله ورموه بالرزيات وأوقعوا به شتى العقوبات ، وقد توعده القرآن والسنة بالخزي في الحياة وبعد الممات ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

ومَنْ المؤمنون حين نزول هذه الآية غير الصحابة ؟ فجهنم لمن اتبع غير سبيلهم . فكيف بمن سبهم وشتمهم وأبغضهم ؟

قال الإمام أبو الحسن الأشعري : « وأجمعوا (*) على النصيحة للمسلمين والتولي لجماعتهم وعلى التوادد في اللّه والدعاء لأئمة المسلمين والتبري ممن ذم أحدًا من أصحاب رسول اللّه ﷺ وأهل بيته وأزواجه ، وترك الاختلاط بهم ، والتبري منهم »[2] .

(١) فتح المغيث [١٠٨/٣] .
(*) أي : أهل السنة والجماعة .
(٢) في رسالته إلى أهل الثغر [ص : ١٧٦] .

قلت : فانظر رحمك اللَّه إلى أهل السنة كثرهم اللَّه كيف ينفرون ويتبرون من كل من ينتقص الصحابة ، وتجد بعض الحركيين الحزبيين ينادون ليل نهار بتلك القولة الفاجرة وهي : الدعوة إلى التقارب مع الشيعة ، الوالغين في دم وأعراض الصحابة رضي اللَّه عنهم فواجب على كل مسلم سلفي غيور على صحابة نبيه أن يتبرأ من كل من لم يتبرأ من أعداء الصحابة أو دعا إلى التقارب معهم .

وقد نص أئمتنا على أن اللَّه تعالى يعاقب شاتمي صحابة نبيه بالمسخ في الدنيا .

قال ابن القيم[1] : « وتأمل حكمته تعالى في مسخ من مسخ من الأمم في صور مختلفة مناسبة لتلك الجرائم ؛ فإنها لما مسخت قلوبهم وصارت على قلوب تلك الحيوانات وطباعها اقتضت الحكمة البالغة أن جعلت صورهم على صورها لتتم المناسبة ويكمل الشبه ، وهذا غاية الحكمة .

واعتبر هذا بمن مسخوا قردة وخنازير ، كيف غلبت عليهم صفات هذه الحيوانات وأخلاقها وأعمالها !

ثم إن كنت من المتوسمين فاقرأ هذه النسخة من وجوه أشباههم ونظرائهم ، كيف تراها بادية عليها ؟ وإن كانت مستورة بصورة الإنسانية فاقرأ نسخة القردة من صور أهل المكر والخديعة والفسق الذين لا عقول لهم ، بل هم أخف الناس عقولًا وأعظمهم مكرًا وخداعًا وفسقًا !

فإن لم تقرأ نسخة القردة من وجوههم فلست من المتوسمين ، واقرأ نسخة الخنازير من صور أشباههم ولا سيما أعداء خيار خلق اللَّه بعد الرسل وهم أصحاب رسول اللَّه ﷺ ؛ فإن هذه النسخة ظاهرة على وجوه الرافضة يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب ! وهي تظهر وتخفى بحسب خنزيرية القلب وخبثه ؛ فإن الخنزير أخبث الحيوانات وأردؤها طباعًا ، ومن خاصيته أنه يدع الطيبات فلا يأكلها ويقوم الإنسان عن رجيعه فيبادر إليه .

---

(١) في كتابه القيم مفتاح دار السعادة [١٧٩/٢-١٨٠] .

فتأمل مطابقة هذا الوصف لأعداء الصحابة كيف تجده منطبقًا عليهم ؟ فإنهم عمدوا إلى أطيب خلق اللَّه وأطهرهم فعادوهم وتبرءوا منهم ، ثم والوا كل عدو لهم من النصارى واليهود والمشركين ، فاستعانوا في كل زمان على حرب المؤمنين الموالين لأصحاب رسول اللَّه ﷺ بالمشركين والكفار وصرحوا بأنهم خير منهم . فأي شبه ومناسبة أولى بهذا الضرب من الخنازير ؟! فإن لم تقرأ هذه النسخة من وجوههم فلست من المتوسمين !

وأما الأخبار التي تكاد تبلغ حد التواتر بمسخ من مسخ منهم عند الموت خنزيرًا فأكثر من أن تذكر هاهنا ، وقد أفرد لها الحافظ محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابًا » .

وقد علق محقق الكتاب الأخ الفاضل علي الحلبي في الهامش قائلًا : « ولم أر لكتابه المشار إليه ذكرًا فيه ، فاللَّه أعلم . نعم ؛ ذكر في كتابه : « النهي عن سب الأصحاب وبيان ما فيه من العذاب » [٨٩-١١٤] فصلًا بعنوان : « ذكر بعض ما بلي به من كان يشتم الصحابة رضي اللَّه عنهم » وفيه قصص في مسخ بعض أولئك إلى خنازير . ثم رأيت ما يؤكد ذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - شيخ المصنف - في « منهاج السنة النبوية » [٤٨٥/١] ثم قال : « وذكر فيه حكايات معروفة في ذلك ، وأعرف أنا حكايات أخرى لم يذكرها هو » .

وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : « اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم »[1] .

---

(١) [٦٠٣/٢] .

حكم من سب الصحابة
وما يترتب على ذلك من العقوبات

اعلم أن سب المسلم ذنب عظيم وخلق ذميم ، قال النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(١) .

وقال : « لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك »(٢) .

وقال : « من لعن مؤمنًا فهو كقتله ، ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله »(٣) .

وقال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »(٤) .

فإذا كان هذا الوعيد الشديد يلحق من سب مسلمًا من رعاع الناس فكيف بمن سب خيرة الناس بعد الأنبياء فالوعيد عليه أشد والخسران به ألحق ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

وقال : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] قال ابن عباس : « ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ : طعان معياب »(٥) .

ويا من يقول قول سوء في الصحابة الكرام ولم يتعظ بالمواعظ العظام ، وسلك سبيل اللئام ألا تخاف من بطش رب الأنام ؟ « فكيف تقدم على شيء لم يكن عليه أمر اللَّه ورسوله وكل ما لم يكن عليه أمرهما فهو رد ، أي باطل ، كيف وقد

---

(١) أخرجه البخارى [٦٠٤٤] ، ومسلم [٦٤] .

(٢) أخرجه البخارى [٦٠٤٥] .

(٣) أخرجه البخارى [٦٠٤٧]

(٤) أخرجه البخارى [١٠] ، ومسلم من وجه آخر .

(٥) تفسير ابن كثير .

أمرك اللّه ورسوله بخلافه ، ونهاك عن سب كل من اتصف بالإسلام كيف وقد أمرك اللّه تعالى بطلب المغفرة منه لمن سبق كيف وقد وصف اللّه تعالى نفسه بأنه قد رضي عنهم ، أفيرضى عنهم وتسخط عنهم أنت يا عامي يا جاهل ، فإن قلت : إنما أمر اللّه تعالى ورسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم بالدعاء لهم قبل أن يقع ما وقع قلت : هذا كفر لأن اللّه تعالى عالم بما كان وما سيكون فلو علم لقيد الأمر بمن لم يقع منه شيء وقد أطلع رسوله صلى اللّه عليه وآله وسلم على ذلك كما هو معروف وكان سيتقلب علم اللّه تعالى جهلًا أو أنه وقع شيء وهو لا يعلمه أو أنهم فعلوا شيئًا لا قدرة له على دفعه وكل واحد من هذه الثلاثة لا يقول به إلا كافر نعوذ باللّه من ذلك »(١) .

وقال العلامة علي القاري : « وأما من سب أحدًا من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع ، إلا إذا اعتقد أنه مباح ، كما عليه بعض الشيعة وأصحابهم ، أو يترتب عليه ثواب كما هو دأب كلامهم ، أو اعتقد كفر الصحابة وأهل السنة في فصل خطابهم ؛ فإنه كافر بالإجماع ولا يلتفت إلا خلاف مخالفتهم في مقام النزاع »(٢) .

وبعد هذا أتركك أخي القاريء مع إمام همام وهو شيخ الإسلام بحق ابن تيمية الحراني يفصل لك القول في ذلك ، وسأنقل كلامه وإن طال لنفاسته وأهميته .

قال رحمه اللّه (٣) : « فصل : حكم من سب أحدًا من الصحابة » :

فأما من سب أحدًا من أصحاب رسول اللّه ﷺ - من أهل بيته وغيرهم - فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضربًا نكالًا ، وتوقف عن قتله وكفره .

---

(١) من كتاب « القول الشافي السديد في نصح المقلد وإرشاد المستفيد » لعلي بن محمد بن علي الشوكاني - وهو ابن العلامة الشوكاني صاحب نيل الأوطار - والكتاب مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقمه [١١٠٥ك] .

(٢) شم العوارض في ذم الروافض [ص : ٦١] .

(٣) في الصارم المسلول [ص : ٥٧٠] وما بعدها .

قال أبو طالب : سألت أحمد عمن شتم أصحاب النبي ﷺ ، قال : القتل أجبن عنه ، ولكن أضربه ضربًا نكالًا .

وقال عبد اللَّه : سألت أبي عمن شتم أصحاب النبي ﷺ ، قال : أرى أن يضرب . قلت له : حد ، فلم يقف على الحد ، إلا أنه قال : يضرب ، وقال : ما أراه على الإسلام .

وقال : سألت أبي : من الرافضة ؟ فقال : الذين يشتمون - أو يسبون - أبا بكر وعمر رضي اللَّه عنهما .

وقال في الرسالة التي رواها أبو العباس أحمد بن يعقوب الاصطخري وغيره : وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر ، وعمر بعد أبي بكر ، وعثمان بعد عمر ، وعلي بعد عثمان ، ووقف قوم ، هم خلفاء راشدون مهديون ، ثم أصحاب رسول اللَّه ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس ، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ، ليس له أن يعفو عنه ، بل يعاقبه ، ويستتيبه ، فإن تابَ قُبِل منه ، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع .

وحكى الإمام أحمد هذا عمن أدركه من أهل العلم ، وحكاه الكرماني عنه وعن إسحاق والحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم .

وقال الميموني : سمعت أحمد يقول : ما لهم ولمعاوية ؟ نسأل اللَّه العافية ، وقال لي : يا أبا الحسن إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول اللَّه ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام » .

فقد نص رضي اللَّه عنه على وجوب تعزيره ، واستتابته حتى يرجع بالجلد ، وإن لم ينته حبس حتى يموت أو يراجع ، وقال : « ما أراه على الإسلام » ، وقال : « واتهمه على الإسلام » ، وقال : « أجبن عن قتله » .

وقال إسحاق بن راهويه : « من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس » .

وهذا قول كثير من أصحابنا ، منهم ابن أبي موسى ، قال : « ومن سب السلف من الروافض فليس بكفء ولا يزوج ، ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين ، ولم ينعقد له نكاح على مسلمة ، إلا أن يتوب ويظهر توبته » ، وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول وغيرهما من التابعين .

قال الحارث بن عتبة : إن عمر بن عبد العزيز أتي برجل سب عثمان ، فقال : ما حملك على أن سببته ؟ قال : أبغضه ، قال : وإن أبغضت رجلًا سببته ؟ قال : فأمر به فجلد ثلاثين سوطًا .

وقال إبراهيم بن ميسرة : ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قط ، إلا رجلًا شتم معاوية فضربه أسواطًا ، رواهما اللالكائي[1] . وقد تقدم عنه أنه كتب في رجل سبه : لا يقتل إلا من سب النبي ﷺ ، ولكن أجلده فوق رأسه أسواطًا ، ولولا أني رجوت أن ذلك خير له لم أفعل .

وروى الإمام أحمد : ثنا أبو معاوية ثنا عاصم الأحول قال : أتيت برجل قد سب عثمان ، قال : فضربته عشرة أسواطًا ، قال : ثم عاد لما قال ، فضربته عشرة أخرى ، قال : فلم يزل يسبه حتى ضربته سبعين سوطًا[2] .

وهو المشهور من مذهب مالك ، قال مالك : من شتم النبي ﷺ قتل ، ومن سب أصحابه أُدب .

وقال عبد الملك بن حبيب : من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أُدب أَدبًا شديدًا ، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ، ويكرر ضربه ، ويطال سجنه حتى يموت ، ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ .

---

(١) اللالكائي [١٣٤٠/٧] .

(٢) اللالكائي [١٣٤١/٧] .

وقال ابن المنذر : « لا أعلم أحدًا يوجب قتل من سب من بعد النبي ﷺ

وقال القاضي أبو يعلى : الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة : إن كان مستحلًا لذلك كفر ، وإن لم يكن مستحلًا فسق ولم يكفر ، سواء كفرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم .

وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة .

قال محمد بن يوسف الفريابي ، وسئل عمن شتم أبا بكر ، قال : كافر ، قيل : فيصلى عليه ؟ قال : لا ، وسأله : كيف يصنع به وهو يقول لا إله إلا اللَّه ؟ قال : لا تمسوه بأيديكم ، ادفعوا بالخشب حتى تواروه في حفرته » .

وقال أحمد بن يونس : « لو أن يهوديًا ذبح شاة ، وذبح رافضي لأكلت ذبيحة اليهودي ، ولم آكل ذبيحة الرافضي ؛ لأنه مرتد عن الإسلام » .

وكذلك قال أبو بكر بن هاني : لا تؤكل ذبيحة الروافض والقدرية كما لا تؤكل ذبيحة المرتد ، مع أنه تؤكل ذبيحة الكتابي ؛ لأن هؤلاء يقامون مقام المرتد ، وأهل الذمة يقرون على دينهم ، وتؤخذ منهم الجزية .

وكذلك قال عبد اللَّه بن إدريس من أعيان أئمة الكوفة : ليس لرافضي شفعة إلا لمسلم .

وقال فضيل بن مرزوق : سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل من الرافضة : واللَّه إن قتلك لقربة إلى اللَّه ، وما امتنع من ذلك إلا بالجواز ، وفي رواية قال : رحمك اللَّه ، قذفت ، إنما تقول هذا تمزح ، قال : لا ، واللَّه ما هو بالمزاح ولكنه الجد ، قال : وسمعته يقول : لئن أمكننا اللَّه منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم .

وصرح جماعات من أصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من علي وعثمان ، وبكفر الرافضة المعتقدين لسب جميع الصحابة الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم .

وقال أبو بكر عبد العزيز في المقنع : فأما الرافضي فإن كان يسب فقد كفر فلا يزوج » .

ولفظ بعضهم وهو الذي نصره القاضي أبو يعلى أنه إن سبهم سبًا يقدح في دينهم وعدالتهم كفر بذلك ، وإن سبهم سبًا لا يقدح - مثل أن يسب أبا أحدهم أو يسبه سبًا يقصد به غيظه ونحو ذلك - لم يكفر .

قال أحمد في رواية أبي طالب في الرجل يشتم عثمان : « هذا زندقة ، وقال في رواية المروزي : « من شتم أبا بكر وعمر وعائشة ما أراه على الإسلام » .

قال القاضي أبو يعلى : فقد أطلق القول فيه أنه يكفر بسبه لأحد من الصحابة ، وتوقف في رواية عبد الله وأبي طالب عن قتله وكمال الحد ، وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره .

قال : فيحتمل أن يحمل قوله : « ما أراه على الإسلام » إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف ، ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك ، بل فعله مع اعتقاده لتحريمه كمن يأتي المعاصي .

قال : ويحتمل قوله : « ما أراه على الإسلام » على سب يطعن في عدالتهم نحو قوله : ظلموا ، وفسقوا بعد النبي ﷺ ، وأخذوا الأمر بغير حق ، ويحمل قوله في إسقاط القتل على سب لا يطعن في دينهم ، نحو قوله : كان فيهم قلة علم ، وقلة معرفة بالسياسة والشجاعة ، وكان فيهم شح ومحبة للدنيا ، ونحو ذلك ، قال : ويحتمل أن يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سابهم روايتان :

إحداهما : يكفر .

والثانيـة : يفسق .

وعلى هذا استقر قول القاضي وغيره ، حكوا في تكفيرهم روايتين .

قال القاضي : ومن قذف عائشة رضي الله تعالى عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف » اهـ .

وقال أيضًا [1] : « وعن سلمة بن كهيل عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال : قلت لأبي : لو كنت سمعت رجلًا يسب عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه بالكفر ، أكنت تضرب عنقه ؟ قال : نعم ، رواه الإمام أحمد وغيره ، ورواه ابن عيينة عن خلف بن خوشب عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، قال : قلت لأبي : لو أتيت برجل يسب أبا بكر ما كنت صانعًا ؟ قال : أضرب عنقه ، قلت : فعمر ؟ قال : أضرب عنقه [2] .

وعبد الرحمن بن أبزى من أصحاب النبي ﷺ ، أدركه وصلى خلفه ، وأقره عمر رضي اللَّه عنه عاملًا على مكة ، وقال : هو ممن رفعه اللَّه بالقرآن ، بعد أن قيل له : إنه عالم بالفرائض قارئ لكتاب اللَّه ، واستعمله علي رضي اللَّه عنه على خراسان .

وروى قيس بن الربيع عن وائل عن البهي قال : وقع بين عبيد اللَّه بن عمر وبين المقداد كلام ، فشتم عبيد اللَّه المقداد ، فقال عمر : « علي بالحداد أقطع لسانه لا يجترئ أحد بعده يشتم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ » .

وفي رواية : « فَهَمَّ عمر بقطع لسانه ، فكلمه فيه أصحاب محمد ﷺ ، فقال : ذروني أقطع لسان ابني لا يجترئ أحد بعده يسب أحدًا من أصحاب محمد ﷺ رواه حنبل وابن بطة واللالكائي [3] وغيره ، ولعل عمر إنما كف عنه لما شفع فيه أصحاب الحق ، وهم أصحاب النبي ﷺ ، ولعل المقداد كان فيهم .

وعن عمر بن الخطاب أنه أتي بأعرابي يهجو الأنصار ، فقال : « لولا أن له صحبة لكفيتكموه ، رواه أبو ذر الهروي .

---

(١) في المصدر نفسه [ص : ٥٨٧] .

(٢) اللالكائي [١٣٣٩/٧] .

(٣) اللالكائي [١٣٣٨/٧] ، الشفا [١١١١/٢] .

ويؤيد ذلك ما روى الحكم بن حجل قال : « سمعت عليًا يقول : لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر رضي اللّٰه تعالى عنهما إلا جلدته حد المفتري » .

وعن علقمة بن قيس قال : خطبنا علي رضي اللّٰه عنه فقال : « إنه بلغني أن قومًا يفضلونني على أبي بكر وعمر ، ولو كنت تقدمت في هذا لعاقبت فيه ، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم ، ومن قال شيئًا من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري خير الناس كان بعد رسول اللّٰه ﷺ أبو بكر ، ثم عمر » .

رواهما عبد اللّٰه بن أحمد ، وروى ذلك ابن بطة واللالكائي من حديث سويد ابن غفلة عن علي في خطبة طويلة خطبها .

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن أبي ليلى قال : « تداروا في أبي بكر وعمر ، فقال رجل من عطارد : عمر أفضل من أبي بكر ، فقال الجارود : بل أبو بكر أفضل منه ، قال : فبلغ ذلك عمر ، قال : فجعل يضربه ضربًا بالدرة حتى شغر برجله ، ثم أقبل إلى الجارود فقال : إليك عني ، ثم قال عمر : أبو بكر كان خير الناس بعد رسول اللّٰه عليه الصلاة والسلام في كذا وكذا ، ثم قال عمر : من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري » .

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي اللّٰه عنهما يجلدان حد المفتري من يفضِّل عليًا على أبي بكر وعمر ، أو يفضل عمر على أبي بكر – مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب – علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير .

فصل في تفصيل القول في سب الصحابة

أما من اقترن بسبه دعوى أن عليًا إله ، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرائيل في الرسالة ؛ فهذا لا شك في كفره ، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره .

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت ، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ، ونحو ذلك ، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ، ومنهم التناسخية ، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم .

وأما من سبهم سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم - مثل وصف بعضهم بالبخل ، أو الجبن ، أو قلة العلم ، أو عدم الزهد ، ونحو ذلك - فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم .

وأما من لعن وقبح مطلقًا فهذا محل الخلاف فيهم ؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد .

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول اللّه عليه الصلاة والسلام إلا نفر قليل لا يبلغون بضعة عشر نفسًا ، أو أنهم فسقوا عامتهم ، فهذا لا ريب أيضًا في كفره ، لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع : من الرضى عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين ، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق ، وأن هذه الآية التي هى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وخيرها هو القرن الأول ، كان عامتهم كفارًا أو فساقًا ، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم ، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها ، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام .

ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال ، فإنه يتبين أنه زنديق ، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم ، وقد ظهرت للّه فيهم مُثُلَات ، وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات ، وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك ، وممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد اللّه بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن سب الأصحاب ، وما جاء فيه من الإثم والعقاب(١) .

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره ، ومنهم من لا يحكم بكفره ، ومنهم من تردد فيه » اهـ .

وعن علي أنه بلغه أن ابن السوداء تنقص أبا بكر وعمر فدعا به وبالسيف فهمَّ بقتله فكلم فيه فقال : « لا يساكني بلدًا أنا فيه ، فنفاه إلى الشام »(٢) .

وعن المغيرة قال : « تحول جرير بن عبد اللّه وحنظلة وعدي بن حاتم من المكوفة إلى قرقيسيا وقالوا : « لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان »(٣) .

وعن أبي وائل : « أن رجلًا حرج على أم سلمة قوله فأمر عمر أن يجلد مائتي جلدة »(٤) .

وعن عبد اللّه بن الحسن يعني ابن الحسين بن علي بن أبي طالب قال : ما أرى رجلًا يسب أبا بكر رضوان اللّه عليه يتيسر له توبة »(٥) .

وروى ابن أبي العوام أن رجلًا سأل أبا يوسف فقال : « يا أبا يوسف يذكرون عنك أنك تجيز شهادة من يشتم أصحاب النبي ﷺ على التأويل ، فقال : ويحك هذا أحبسه وأضربه حتى يتوب »(٦) .

(١) راجع فصل « ذكر بعض ما بلي به من كان يشتم الصحابة رضي اللّه تعالى عنهم » منه .
(٢) اللالكائي [١٣٣٦/٧] .
(٣) اللالكائي [١٣٤٠/٧] .
(٤) المصدر السابق .
(٥) اللالكائي [١٣٤٣/٧] .
(٦) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة [ص : ٥٥٤] .

وكان عمر بن محمد بن رجاء العكبري إذا مات رجل من الرافضة فبلغه أن بزازًا باع له كفنًا ، أو غاسلًا غسله ، أو حاملًا حمله هجره على ذلك . وكان لا يكلم رافضيًا إلى عشرة [1] .

كان مهيار بن مرزويه مجوسيًا فأسلم وانتحل التشيع وأخذ في سب الصحابة فقال له ابن برهان رحمه الله : « انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية ، كنت مجوسيًا ، فصرت تسب الصحابة في شعرك »[2] .

ومن المواقف المشرفة أيضًا للإمام أبي الأحوص سلام بن سليم [ت ١٧٩] قال أحمد العجلي : « كان ثقة صاحب سنة واتباع ، وكان إذا ملئت داره من أصحاب الحديث قال لابنه أحوص : يا بني قم فمن رأيته في جاري يشتم أحدًا من الصحابة فأخرجه ، ما يجيء بكم إلينا ؟ »[3] .

وقال ابن حجر الهيتمي : « أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق »[4] .

قال النووي : « قال القاضي وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل ، قال بعض المالكية يقتل »[5] .

قال الحافظ : « اختلف في سابِّ الصحابي ، فقال عياض : ذهب الجمهور إلى أنه يعزر ، وعن بعض المالكية يُقتل ، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين وقواه السبكي في حق من كفر

---

(١) طبقات الحنابلة [٢/٥٦-٥٧] .
(٢) السير [١٧/٤٧٢] .
(٣) السير [٨/٢٨٢] .
(٤) الصواعق المحرقة [٣٨٣] .
(٥) شرح مسلم [١٦/٩٣] .

الشيخين ، وكذا من كفر من صرح النبي ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول اللَّه ﷺ [(١)] .

قال القاضي عياض : « وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه ﷺ وتنقصهم حرام ملعون فاعله »[(٢)] .

ثم قال : « وقد اختلف العلماء في هذا ، فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الموجع ، قال مالك رحمه اللَّه : « من شتم النبي ﷺ قُتل ، ومن شتم أصحابه أُدب ، وقال أيضًا : من شتم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ : أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال وكفر قُتل ، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالًا شديدًا .

وقال ابن حبيب : من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أُدب أدبًا شديدًا ، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ، ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي ﷺ .

وقال سحنون : من كفر أحدًا من أصحاب النبي ﷺ علي أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربًا .

وحكى أبو محمد بن أبي زيد ، عن سحنون : من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي : إنهم كانوا على ضلالة وكفر قُتل ، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد .

وروي عن مالك : « من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قُتل ، قيل له : لم ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن . وقال ابن شعبان عنه : لأن اللَّه يقول : ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ١٧] . فمن عاد لمثله فقد كفر »[(٣)] اهـ .

---

(١) الفتح [٧/٤٤] .

(٢) الشفا [٢/١١٠٦] .

(٣) الشفا [٢/١١٠٨] .

واعلم أخي القارىء أنه ما استحق واستوجب سابُّ الصحابة وطعن فيهم هذه العقوبات الرادعة إلا لأنه بطعنه هذا يطعن في الشريعة الغراء لأن الصحابة هم ناقلوها والذابون عن حياضها ، والطعن في الناقل طعن في منقوله . ولهذا كانت الرافضة شر الطوائف وأخبث الفرق » .

ورحم اللّه من قال[1] : « ... فضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين : سئلت اليهود ؛ من خير أهل ملتكم ؟ قالوا أصحاب موسى ، وسئلت النصاري ؛ من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : حواري عيسى ، وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد ﷺ ، أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم ، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة ، لا تقوم لهم راية ، ولا يثبت لهم قدم ، ولا تجتمع لهم كلمة ، ولا تجاب لهم دعوة ، دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة ، وجمعهم متفرق . ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[2] [المائدة : ٦٤] .

وقال الملا علي القاري : « وأما من سب أحدًا من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع ، إلا إذا اعتقد أنه مباح ، أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة ، أو اعتقد كفر الصحابة ؛ فإنه كافر بالإجماع ، فينظر فإن كان معه قرائن حالية على ما تقدم من الكفريات وإلا ففاسق ، وإنما يقتل عند علمائنا سياسة لدفع فسادهم وشرهم »[3] .

وقال علي بن محمد بن علي الشوكاني في معرض بيان قبح وعظم جرم ساب الصحابة : « واعلم أن الأدلة من الكتاب والسنة قاضية بكفر فاعل ذلك ، والعلة

---

(١) تنسب هذه المقالة لعامر الشعبي ولغيره ، انظر تفصيل الكلام عند شيخ الإسلام في منهاج السنة [١/٢٢ إلى ٣٦] .

(٢) منهاج السنة [١/٢٧-٣٤] .

(٣) « تنبيه الولاة والحكام ... » كما في مقدمة النهي عن سب الأصحاب [ص : ١٥] .

في ذلك أنه لما كان لهم منة على جميع الأمة وأن محبتهم وموالاتهم من الاتباع للرسول صلى اللَّه عليه وآله وسلم ، وأنهم القائمون بالشريعة بالقتال والتحمل لها ونقلها إلى سائر الأمة فمَنْ أقدم على مثل هذا الجناب فقد اقترفَ كبيرةً تُوجِب عليه الكفر ، وإن كان باقيًا على سائر أركان الإسلام فإن من الأعمال محبطًا لها ولا تكون لها معه عبرة وهذا منها لما دلت عليه الأدلة ... »[1] .

وقال أيضًا في معرض بيان أقسام التشيع : « الثاني وهو الذي بلغ إلى رتبة السب للصحابة وهذا قد أخرج عن الإسلام فوصفه بالتشيع من وضع هذا اللقب في غير موضعه لأن اللَّه تبارك وتعالى يقول : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى آخر الآية الكريمة وهذا الذي يبلغ به الشيطان إلى رد القرآن استخفافًا ، ويقول بعكسه تعجرفًا ، وقال عز من قائل : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٢٩] . وهذا لا يسبهم إلا وقد أغاظوه ، وقد حكم اللَّه تعالى بأنه لا يغيظ بهم إلا الكفار »[2] .

---

(١) القول الشافي السديد في نصح المقلد وإرشاد المستفيد [ص : ٥٣] .

(٢) المصدر نفسه [ص : ٣٤] .

وهذه بعض الكتب التي صنفت في من سب الصحابة

١ - رسالة النهي عن سب الصحابة لمحمد بن سحنون التنوخي « ترتيب المدارك » [٢٠٧/٤] .

٢ - النهي عن سب الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب للضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي [طبعت] .

٣ - تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام ، أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام لابن عابدين .

٤ - الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال الزندقة ، لابن حجر الهيتمي [طبع] .

٥ - حكم من سب أحدًا من الصحابة للشوكاني ، مخطوط في مكتبة الحرم المكي .

٦ - السيف المسلول على مبغضي أصحاب الرسول لياسين مصطفى الفرضي مخطوط بالمركز العلمي بجامعة أم القرى [٣٣٠] .

٧ - الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول لبحرق اليمني مخطوط في الأحقاف بحضرموت « مجموعة آل يحيى » [١٠٩ مجاميع رقم ١٢٢٤] وعندي صورة منه .

٨ - السيف اليماني المسلول في عنق من طعن في أصحاب الرسول لمحمد بن يوسف التونسي .

٩ - السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول للقاضي عياض « كشف الظنون ١٠١٨/٢] وهدية العارفين [٨٠٥/٢] .

١٠- السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول لتقي الدين السبكي « كشف الظنون » [١٠١٨/٢] .

١١- الرسالة الوازعى للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين للمؤيد يحيى بن حمزة الطالبي ت ٧٤٥هـ [طبع] .

وكتب محمود شكري الألوسي المتوفى سنة [١٣٤٢هـ] : « صب العذاب على من سب الأصحاب » ذكرها في الإعلام [١٧٣/٧] وقد طبعت مؤخرًا .

« الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الأصحاب » لعثمان بن سند ، مخطوط بجامعة الإمام [٤٩٨٩] .

« إلقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر » للسيوطي مخطوط بتشستريتي [٤٢٩٤](*) .

(*) استفدت بعض هذه الأسماء من مقدمة محمد الحلواني والشودري للصارم المسلول ومن مقدمة محيي الدين نجيب ومقدمة عبد الرحمن بن عبد الله التركي للنهي عن سب الأصحاب للضياء المقدسي .

نماذج لبعض الضُّلال الذين يسبون ويلعنون معاوية رضي اللَّه تعالى عنه

قال أحمد الغماري : « ومن تعظيم جنابهم الأقدس وحماهم الأطهر تنزيههم عن إدخال المنافقين والفجرة فيهم وعدهم من زمرتهم مثل معاوية وأبيه ، وابنه والحكم بن العاص وأضرابهم قبحهم اللَّه ولعنهم فإن عد هؤلاء من جملة الصحابة بعد تكذيب خبر اللَّه ورسوله بكفرهم ونفاقهم حط من قدر الصحابة رضي اللَّه تعالى عنهم ... وعلم سيرة الفاجر اللعين معاوية ومعاندته للَّه ورسوله واستخفافه بأمرهما واستهزائه بالشريعة المحمدية وسفكه الدماء البريئة ... »[1] .

وقال : « ... معاوية قبحه اللَّه فإنه كان يأمر الرجل أن يقوم في الناس فيخطب ويروي عن رسول اللَّه ﷺ حديثًا في فضل الشام وأهله ... »[2] .

وقال : « ... في تلك الأحاديث التي افتراها معاوية اللعين وأنصاره »[3] .

وقال : كل حديث تجد فيه ذكر رجل مبهم ذمه النبي ﷺ أو وصفه بأنه من أهل النار أو رأس الفتن أو نحو ذلك فاعلم أنه معاوية يبهمه الرواة النواصب المنافقون أعداء اللَّه ورسوله وأحباب أعدائه ... »[4] .

تأمل هذا فقد حكم على أئمة الحديث الكبار ممن رووا فضل معاوية بالنصب والنفاق أمثال الإمام البخاري وأحمد وأبي داود والترمذي والنسائي والدارقطني والطبراني وغيرهم كثير .

---

(١) البحر العميق [١/الورقة ٥٠-٥١] .

(٢) جؤنة العطار [٢/الورقة ١٥٩] .

(٣) الجؤنة [٢/١٦٠] .

(٤) الجؤنة [٢/١٨٦] .

وقال : « ... مؤثرًا للعاجلة كافرًا بالجلة خارجًا عن ربقة الإسلام مستحلاً للدم الحرام »[1] .

وقد نهج أحمد الغماري نهج شيخه ابن عقيل الحضرمي الشيعي في الطعن في معاوية ، ولشيخه هذا كتاب : « النصائح الغالية لمن يتولى معاوية » . وقد رد عليه جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى .

وقال أخوه عبد الحي بن الصديق الغماري متحدثًا عن ابن العربي المعافري : « فارجع إلى كتابه العواصم من القواصم لترى كيف لعب الهوى بعقله فجعله ينتصر للفجار الظالمين معاوية ويزيد وبطانة السوء التي كانت تناصرهما ويهضم حق المظلومين الأتقياء أهل بيت النبوة عليهم السلام »[2] .

وقال أخوه عبد الله : « معاوية أسهم فى قتل الحسن عليه السلام لأنه كان يريد أن ينفرد بالملك ويجعله وراثة في بني أمية ، وهو من مسلمة الفتح الطلقاء ، ومسلمة الفتح نوعان ، نوع حسن إسلامه فكان صحابيًا فاضلاً مثل حكيم بن حزام وعتاب بن أسيد ، ونوع لم يحسن إسلامه مثل معاوية وأبيه وبشر بن أرطأة السفاك عامل معاوية على اليمن ، وليس كل صحابي فاضلاً بل فيهم منحرفون عن الجادة مثل سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وجرير بن عبد الله البجلي ورئيسهم معاوية الباقي بنص الحديث »[3] .

وقال أيضًا في « القول المسموع في الهجر المشروع » [ص : ١٤-١٥] : وكان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يعطون الصحابة أعطياتهم المستحقة لهم في بيت المال ، وكانوا يقسمونها بالعدل ، مع مراعاة من له يد في الإسلام . فلما جاء معاوية آثر أعوانه بالعطاء ، وفضله على الأنصار الذين أثنى الله عليهم في القرآن ...

(١) الجؤنة [١٣٣/٢] .

(٢) في كتابه « التيمم » [ص : ٦٣-٦٤] .

(٣) الحاوي في الفتاوي [٣٢/٣] – وحقيق أن يسمى بالحاوي للبلاوي – .

فذكر أبو أيوب معاوية بالحديث الذي سمعه من النبي ﷺ بخصوص الأثرة ، ليتعظ معاوية ويرجع ويتوب ! ولكنه لم يرجع بل استمر على غيه وقال : « أنا أول من صدق » . يعني أنه أول حاكم صدق قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم تصديقًا عمليًا ، حيث آثر أعوانه بالعطاء ، وهذه جرأة قبيحة تؤذن بأنه كان لا يقيم لكلام الرسول وزنًا »[1] اهـ .

سبحان اللّه ! ما هذا التوافق في الرفض والخبث والحقد لصحابة رسول اللّه ﷺ أفضل الناس بعد الأنبياء .

والطعن في معاوية رضي اللّه عنه ديدن الضلال من قديم فقد اتهم الجاحظ معاوية رضي اللّه عنه بالكفر في رسالة له عن بني أمية ملحقة بكتاب « النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم » للمقريزي [ص : ٩٤][2] .

وقد استشرى هذا الداء إلى أقلام المعاصرين كما سبق عن الغماريين ومثل ذلك ما ورد عن عباس محمود العقاد في كتابه : « معاوية بن أبي سفيان في الميزان » [ص:٦٦] حيث يقول عنه : « ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح ، لما وصفه بغير مفرق الجماعات »[2] .

وأيضًا حسين مؤنس في مقالاته ضمن مجلة أكتوبر الأسبوعية تحت عنوان : « تاريخ موجز للفكر العربي » حيث وصف حكومة معاوية رضي اللّه عنه بالظلم والطغيان والاستبداد [ص ٢٤ من العدد ٣٧٢][2] .

وكذلك محمد بك الخضري في كتابه الدولة الأموية [٣٥٦/٢] .

وأيضًا ذاك المستغرب طه حسين في عديد من كتبه كـ « الفتنة الكبرى » عليه من اللّه ما يستحق .

---

(١) عن جنة المرتاب لأبي إسحاق الحويني [ص : ١٦٧] .

(٢) « عن العالم الإسلامي في العصر الأموي – المقدمة بتصرف » لعبد الشافي محمد عبد اللطيف .

وقال سيد قطب : « إن معاوية وعمرو لم يغلبا عليًا لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب . ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك علي أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل فلا عجب أن ينجحا ويفشل وإنه لفشل أشرف من كل نجاح »[1] .

فانظر رحمك اللَّه إلى هذا القلم النتن كيف يصف صاحبين جليلين بالركون إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق ، وصاحبه ملمع مقدم عند هؤلاء الحزبيين الذين يقودون ما يسمى الآن بالصحوة الإسلامية ! وبهذا وغيره تعلم أنهم لا يقودونهم إلا ضمن تلك السبل المبعدة عن صراط اللَّه المستقيم والتي أخبر رسول اللَّه ﷺ أن على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليها [2] .

وباللَّه عليك أخي القارىء كيف تفلح دعوة تقف مثل هذه المواقف المخزية تجاه حملة الدعوة المحمدية أفضل الناس بعد الأنبياء ، زيادة على أنها غارقة في أوحال الحزبية والبدع المقيتة .

وكم لهذا الرجل من الطامات والبلايا العقدية والمنهجية ، راجع كتابنا « المفسرون » ، وكتب أخينا وحبيبنا العلامة ناصر السنة وقامع البدعة الشيخ ربيع ابن هادي المدخلي .

---

(١) في كتابه الموسوم بـ « كتب وشخصيات » [ص : ٢٤٢] .

(٢) ثبت ذلك في حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه رواه أحمد [٤٣٥/١] ، والنسائي [١١١٧٤] ، والدارمي [٦٧/١] ، والطيالسي [٢٤٤] ، الحاكم [٣١٨/٢] وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . ورواه أيضًا ابن أبي عاصم [١٧] وغيرهم ، وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة .

وقال ابن المطهر الحلي الرافضي الخبيث عليه من اللَّه ما يستحق في حق معاوية رضي اللَّه عنه : « كان شرًا من إبليس »[1] .

وإن تعجب فعجب تعلق المدعو عبد المعطي أمين قلعجي - الذي نصب نفسه محققًا مدققًا لكتب الحديث والرجال وهو لعمر اللَّه : كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد - بهذه الأكاذيب والافتراءات ، طعنًا في خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين فشتم وشنع ، وقال من الكلام ما هو مستفظع ، وإليك نصه قال[2] : « وثمة بدعة أخرى كريهة ظهرت في عهد معاوية ، وهي أن معاوية نفسه وسائر ولاته بأمره كانوا يكيلون السب والشتم لسيدنا علي بن أبي طالب في خطبهم على المنابر لدرجة أنهم كانوا يلعنونه - لعنهم اللَّه - ... » واسترسل في سرد تهم وطامات ومعاوية بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ويا ليته تثبت وتريث - والمحقق المدقق هذه من أوليات صفاته - فقرأ ما كتبه المصنف ابن كثير رحمه اللَّه بعد سطور قليلة ، وأراح القراء من ذلك الهراء ، ويكفي المرء عقوقًا شتم خاله إن كان مؤمنًا ، واللَّه المستعان » .

وقال خالد محمد خالد : « معاوية بالشام يحض الناس على سب الإمام وشتمه ... »[3] وذكر ألفاظًا نابية ننزه القلم عن كتابتها ، ومما يؤسف له ، انتشار هذا الكتاب بين القراء انتشارًا واسعًا ولا سيما وجمهور القراء قد فقدوا ميزان التلقي والتمحيص جريًا خلف الأسلوب المثير ، مع ما يحمله هذا الكتاب بين دفتيه من مرويات مكذوبة وطعون مخذولة في بعض الصحابة . والحكم نفسه لكتابه « رجال حول الرسول » فليتنبه القراء الكرام ، ويا ليت قومي يعلمون .

---

(١) منهاج السنة [٥٠٧/٤] وقد تصدى له وأبطل خرافاته وترهاته في هذا الكتاب شيخ الإسلام بحق ابن تيمية الحراني جزاه اللَّه خيرًا ورحمه رحمة واسعة .

(٢) من تعليقه على « جامع المسانيد » لابن كثير «٥٦٦/١١» .

(٣) في كتابه « خلفاء الرسول » [ص : ٥٥٨] .

وكذلك فعل عبد الوهاب النجار في كتابه « الخلفاء الراشدون » حيث شوه الحقائق معتمدًا على أخبار المؤرخين التي لا زمام لها ولا خطام ، واللَّه المستعان[1] .

وكذلك محمد بسيوني مهران في كتابه « الإمام علي بن أبي طالب » ضمن سلسلته في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين .

وكذلك ذاك المبتدع الضال عبد اللَّه الهرري الحبشي حيث اتهم معاوية فيما جرى له مع علي رضي اللَّه عنهما بقوله : « إنما قاتل للدنيا والملك » في رسالته المشؤومة التي سماها زورًا وبهتانًا « المقالات السنية » [ص:٢٠٠] ، وفي حقيقة أمرها مقالات بدعية ردية جمع فيها شتى أصناف الشركيات والبدع والضلالات والثلب للعلماء وخاصة شيخ الإسلام بحق ابن تيمية الحراني ، واللَّه المستعان .

ومثله أيضًا أقوال نقلها عبد السلام ياسين عن الجاحظ مقرًا إياه مفادها الطعن في معاوية رضي اللَّه عنه [2] .

وقال أيضًا : « كان شتم علي ولعنه على المنابر مما فعله وأمر به معاوية ، ثار بالفئة الباغية وقادها حتى استولى على الحكم »[3] .

وقال عبد الباري الزمزمي : « ... معاوية ، من المعلوم ومن الثابت في الصحيح ، في صحيح مسلم وفي التاريخ أيضًا أنه لما استقر له الأمر « رسَّم » - أي أثبت - في خطبة الجمعة وأمر الخطباء أن يلعنوا علي بن أبي طالب في خطبة الجمعة »[4] .

وأكد ذلك في شريط آخر بعنوان : « مناقب المهاجرين » وحظر الترضي عنه .

وكل هذا كذب وافتراء فأين ورد ذلك في صحيح مسلم ؟!! نعم يوجد ذلك في كتب الروافض أعداء اللَّه ورسوله وكتب التاريخ التي لا تعنى بصحة الأخبار وتوثيقها .

---

(١) الخلفاء الراشدون [ص:٤٠٥إلى٤٣٩] .

(٢) انظر كتابي الإحسان الجزء الأول [ص:٦٤] .

(٣) في كتابه « تنوير المؤمنات » [٢/٢٠] .

(٤) في شريط له تحت عنوان « مناقب علي » بتاريخ ١٩٩٦/٥/١١ .

ولو كان ذلك حقًا كيف سكت عنه الصحابة وهم متوافرون دون إنكار ؟! وهم الشجعان الذين لا يخافون في اللّه لومة لائم فهم لا يسكتون عن سب رجل من عوام المسلمين دون حق بله عن سب علي رضي اللّه عنه وهو الذي أجمع المسلمون على فضيلته ومنزلته الرفيعة عند رسول اللّه ﷺ حتى قال له : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي »[١] .

وقال أيضًا : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه »[٢] وقال يوم خيبر : « لأدفعن الراية غدًا إلى رجل يحبه اللّه ورسوله ويحب اللّه ورسوله »[٣] وكان علي صاحبها وغير ذلك كثير فمن نسب ذلك إلى معاوية فقد أشرك معه جميع الصحابة الذين عاصروه أيام خلافته واتهمهم بالتواطىء معه على الظلم والفحش شعر أم لم يشعر .

ومعاوية رضي اللّه عنه منزه عن مثل ذلك وهو مقر معترف بأفضلية علي بن أبي طالب عليه .

فقد ورد من غير وجه أن أبا مسلم الخولاني وجماعة معه دخلوا على معاوية فقالوا : أنت تنازع عليًا أم أنت مثله ؟ فقال : لا واللّه ، إني لأعلم أنه خير مني وأفضل ، وأحق بالأمر مني ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا وأنا ابن عمه ، وأنا أطلب بدمه وأمره إلي ، فقولوا له فليسلم إلي قتلة عثمان وأنا أسلم له أمره [٤] .

---

(١) البخاري [٣٧٠٦] ، مسلم [٢٤٠٤] .

(٢) هذا الحديث صحيح والشطر الأول منه متواتر وطرقه كثيرة جدًا . قال الحافظ : « منها صحاح ومنها حسان » قرر ذلك العلامة الألباني في الصحيحة [١٧٥٠] ضمن بحث ماتع .

(٣) أحمد [٣٨٤/٢] ، ومسلم [٢٤٠٥] ، والطيالسي [٢٤٤١] .

(٤) السير [١٤٠/٣] ، البداية [١٣٢/٨] .

وقال جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال : لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : « أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال : ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم »[1] .

قال ابن عبد البر : « وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه عن ذلك ، فلما بلغه قتله قال : « ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب ، فقال له أخوه عتبة : لا يسمع هذا منك أهل الشام ، فقال : دعني عنك »[2] .

وأما ما وقع بينهما فقد كان بتأويل واجتهاد من معاوية رضي اللَّه عنه وأهل السنة يعتقدون أنه مخطىء في ذلك كما تقدم ، لكن هذا لا يسوغ تلفيق وصياغة أكاذيب وافتراءات في سيرته تحط من قدره وتشوه مقامه مع رسول اللَّه ﷺ .

والذي ورد في صحيح مسلم ليس فيه ما افتراه عليه هؤلاء ، وهاك نصه وأقوال العلماء فيه :

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول اللَّه ﷺ فلن أسبه ، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم ، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول له ، خلفه في بعض مغازيه فقال له علي : يا رسول اللَّه ، خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول اللَّه ﷺ : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبوة بعدي » وسمعته يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلًا يحب اللَّه ورسوله ويحبه اللَّه ورسوله » قال : فتطاولنا لها ، فقال : « ادعوا لي عليًا » فأتي به أرمدًا (*) فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح اللَّه عليه ،

(١) البداية [١٣٣/٨] .

(٢) الاستيعاب [١١٠٨/٣] .

(*) الرمد : وجع العين وانتفاضها .

ولما نزلت هذه الآية : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦١] دعا رسول اللَّه ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال : « اللَّهُمَّ هؤلاء أهلي »[1] .

وليس في هذا الأثر الصحيح التصريح لا من قريب ولا من بعيد أن معاوية سب أو أمر بسب علي . واستمع أخي القارئ لما قاله العلماء في شرح هذا الأثر لترى كيف يحسنون الظن ويحملون ما ورد عن الصحابة مما قد يفهم منه القدح فيهم محملًا حسنًا لا كما يفعله المصطادون في الماء العكر والمتمسكون بما تشابه من النصوص ليقعوا في أعراض الصحابة فبئس ما يفعلون .

قال النووي : « قال العلماء : الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها قالوا : ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدًا بسبه وإنما سأله عن السبب المانع له من السب كأنه يقول هل امتنعت تورعًا أو خوفًا أو غير ذلك فإن كان تورعًا وإجلالًا له عن السب فأنت مصيب محسن وإن كان غير ذلك فله جواب آخر ولعل سعدًا قد كان في طائفة يسبون ، فلم يسب معهم وعجز عن الإنكار وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال ، قالوا : ويحتمل تأويلًا آخر أن معناه : ما منعك أن تُخَطِّئه في رأيه واجتهاده وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ »[2] .

قال المازري : « ما يرد من حديث قادح في عدالة بعض الصحابة إن كان رواية غير ثقة ترك ومن أراد من العلماء تأويله قطعًا للشغب ترك ورأيه وإن رواه الثقات كهذا الحديث ، ولا يرد عن الثقات إلا ما يمكن تأويله ، لأنه ليس بصريح في أنه أمره بسبه وإنما سأله عن المانع وقد سئل عنه من لا يجيز السب وقد يكون معاوية رأى سعدًا بين قوم يسبونه ولم يمكنه الإنكار عليهم فقال : ما منعك ليستخرج من

---

(١) مسلم [٣٢/٢٤٠٤] .

(٢) شرح مسلم [١٧٥/١٥-١٧٦] .

جوانبه مثل ما ذكر عن النبي ﷺ فيكون له حجة على من سبه من غوغاء(*) جنده ويحصل له المطلوب على لسان غيره من أصحابه وإن لم نسلك هذا المسلك وحملناه على ما تثيره الموجدة ويقع في حين الحنق(**) لأمكن أن يحمل السب على التعيير في المذهب والرأي فيكون المعنى ما منعك من أن تبين للناس خطأه وأن ما نحن عليه أشد وأصوب ، ومثل هذا يسمى سبًّا في العرف فيقال ذلك في فرقة خطأت أخرى في المذهب وهذا مما لا يمكن أحدًا أن يمنع احتمال كلامه لهذه الوجوه »(١) .

وقال القرطبي : « وأما معاوية فحاشاه من ذلك لما كان عليه من الصحبة والدين والفضل وكرم الأخلاق وما يذكر عنه من ذلك فكذب وأصح ما في ذلك قوله لسعد هذا وتأويله ما ذكر عياض وقد كان معاوية معترفًا بفضل علي وعظيم قدره »(٢) .

هذا ما فاهوا به في حق معاوية رضي اللَّه عنه متجاهلين معرضين عن كل ما ورد من فضائله إذ هو خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين(٣) .

(*) السفلة من الناس لكثرة لغطهم وصياحهم .

(**) اشتداد الغيظ .

(١) شرح مسلم للأبي [٦/٢٢٣] .

(٢) المصدر السابق [٦/٢٢٤] .

(٣) لا خلاف بين من ترجم لمعاوية أو عد كتاب الوحي ، أن معاوية رضي اللَّه عنه معدود منهم ، حتى بلغ ذلك حد التواتر . من ذلك ما رواه أبو داود في سننه [١٦٢٩] من حديث سهل بن الربيع بن الحنظلية حين قدم على رسول اللَّه ﷺ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس فسألاه فأمر لهما بما سألا وأمر معاوية فكتب لهما بما سألا ... » الحديث وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود .
وروى مسلم [٢٦٠٤] من طريق شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال له : « اذهب وادع لي معاوية » .
=

وقال فيه النبي ﷺ : « اللَّهُمَّ اجعله هاديًا مهديًا واهد به »[1] .

وقال عمير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه : لا تذكروا معاوية إلا بخير فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ اهد به »[2] .

ورجح ابن كثير أن القائل هو عمر بن الخطاب وليس عميرًا [3] .

وبعد هذا فهل يرد دعاء النبي ﷺ ولا يستجاب ؟ كلا وألف كلا ، لذلك علمنا يقينًا أن معاوية كان هاديًا مهديًا .

أما الحديث الذي ورد فيه : « لا أشبع الله بطنه » فليس فيه طعن في معاوية رضي الله تعالى عنه .

قال الشيخ الألباني [الصحيحة ١/١٦٥ وما بعدها] : « وقد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعنًا في معاوية رضي الله عنه ، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك ؛ كيف وفيه أنه كان كاتب النبي ﷺ ؟!

ولذلك قال الحافظ ابن عساكر [١٦/٣٤٩/٢] : « إنه أصح ما ورد في فضل معاوية » .

فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية ؛ كقوله ﷺ في بعض نسائه : « عقرى حلقى » و « تربت يمينك » ، وقوله في حديث أنس الآتي : « لا كبر سنك » .

= ورواه أحمد [١/٣٣٥] والآجري [٣/٥١٠] من طريق أبي عوانة عن أبي حمزة به وزاد ابن عباس فيه « وكان كاتبه » .

ورواه الطيالسي من طريق أبي عوانة وهشام عن أبي حمزة به وفيه قال ابن عباس : « بعثت إلى معاوية ليكتب له » وغيرهم .

(١) رواه أحمد [٤/٢١٦] ، والترمذي [٣٨٤٢] وقال : « حسن غريب » . وحسنه الجوزقاني في الأباطيل [١٨٢] وصححه الشيخ الألباني ، الصحيحة [١٩٦٩] .

(٢) رواه الترمذي [٣٨٤٣] وصححه الشيخ الألباني بما قبله .

(٣) في البداية [٨/١٢٥] .

ويمكن أن يكون ذلك منه ﷺ بباعث البشرية التي أفصح عنها هو نفسه عليه السلام في أحاديث كثيرة متواترة ؛ منها حديث عائشة رضي اللّه عنها قالت : « دخل على رسول اللّه رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو ، فأغضباه فلعنهما وسبهما ، فلما خرجا قلت يا رسول اللّه : من أصاب من الخير شيئًا ما أصابه هذان ؟ قال : وما ذاك ؟ قالت : قلت : لعنتهما وسببتهما . قال : « أوَمَاعلمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت : اللّهُمَّ ! إنما أنا بشر ، فأي المسلمين لعنته أو سببته ؛ فاجعله له زكاة وأجرًا » . رواه مسلم مع الحديث الذي قبله في باب واحد ؛ هو : « باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعى عليه وليس هو أهلًا لذلك ، كان له زكاة وأجرا ورحمة » . ثم ساق فيه من حديث أنس بن مالك ؛ قال : « كانت عند أم سليم يتيمة ، وهي أم أنس ، فرأى رسول اللّه ﷺ اليتيمة فقال : آنت هيه ؟ لقد كبرت لا كبر سنك ، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي ، فقالت أم سليم : ما لك يا بنية ؟ قالت الجارية : دعا عليَّ نبي اللّه ﷺ أن لا يكبر سني أبدًا ، أو قالت : قرني ، فخرجت أم سليم مستعجلة تلوث(*) خمارها حتى لقيت رسول اللّه ﷺ فقال لها رسول اللّه ﷺ : ما لك يا أم سليم ؟ فقالت : يا نبي اللّه أدعوت على يتيمتي ؟ قال : « وما ذاك يا أم سليم ؟ » قالت : زَعمتْ أنك دعوتَ أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها ؟ قال : فضحك رسول اللّه ﷺ ثم قال : « يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي فقلت : إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر ، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورًا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة » .

ثم أتبع الإمام مسلم هذا الحديث بحديث معاوية وبه ختم الباب ، إشارة منه رحمه اللّه إلى أنها من باب واحد ، وفي معنى واحد ، فكما لا يضر اليتيمة دعاؤه ﷺ عليها - بل هو لها زكاة وقربة - فكذلك دعاؤه ﷺ على معاوية .

(*) يقال : لاث العمامة على رأسه : لفها وعصبها .

وقد قال الإمام النووي في « شرحه على مسلم » [٣٢٥/٢ طبع الهند] : « وأما دعاؤه على معاوية ؛ ففيه جوابان :

أحدهما : أنه جرى على اللسان بلا قصد .

والثـاني : أنه عقوبة له لتأخره ، وقد فهم مسلم رحمه اللَّه من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقًا للدعاء عليه ؛ فلهذا أدخله في هذا الباب ، وجعله غيره من مناقب معاوية ؛ لأنه في الحقيقة يصير دعاء له .

وقد أشار الذهبي في « سير أعلام النبلاء » [٢/١٧١/٩] إلى هذا المعنى الثاني ، فقال : « قلت : لعل أن يقال : هذه منقبة لمعاوية ؛ لقوله ﷺ : اللَّهُمَّ ! من لعنته أو سببته ؛ فاجعل ذلك له زكاة ورحمة »[1] .

واعلم أن قوله ﷺ في هذه الأحاديث : « إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر ... » ؛ إنما هو تفصيل لقول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الكهف : ١١٠] . الآية .

وقد يبادر بعض ذوي الأهواء أو العواطف الهوجاء إلى إنكار مثل هذا الحديث ؛ بزعم تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام ، وتنزيهه عن النطق به ! ولا مجال إلى مثل هذا الإنكار ؛ فإن الحديث صحيح ، بل هو عندنا متواتر ؛ فقد رواه مسلم من حديث عائشة وأم سلمة كما ذكرنا ، ومن حديث أبي هريرة وجابر رضي اللَّه عنهما ، وورد من حديث سلمان وأنس وسمرة وأبي الطفيل وأبي سعيد وغيرهم[2] .

وتعظيم النبي ﷺ تعظيمًا مشروعًا ، إنما يكون بالإيمان بكل ما جاء عنه ﷺ صحيحًا ثابتًا ، وبذلك يجتمع الإيمان به صلى اللَّه عليه وسلم عبدًا ورسولًا ، دون إفراط ولا تفريط ؛ فهو ﷺ بشر بشهادة الكتاب والسنة ، ولكنه سيد البشر وأفضلهم إطلاقًا بنص الأحاديث الصحيحة ، وكما يدل عليه تاريخ حياته ﷺ

---

(١) ومثله في تذكرة الحفاظ [٦٩٩/٢] .

(٢) انظر « كنز العمال » [١٢٤/٢] .

وسيرته ، وما حباه اللّه تعالى به من الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة التي لم تكتمل في بشر اكتمالها فيه ﷺ ، وصدق اللّه العظيم إذ خاطبه بقوله الكريم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير : « اتبع مسلم هذا الحديث[١] بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « اللَّهُمَّ إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلًا فاجعل ذلك كفارة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة » ، فركب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ولم يورد له غير ذلك »[٢] .

وفي حديث أم حرام أن رسول اللّه ﷺ نام عندها ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : وما يضحكك يا رسول اللّه ؟ قال : « ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل اللّه يركبون ثَبَجَ[*] هذا البحر ملوكًا على الأسرة – أو مثل الملوك على الأسرة – قالت : فقلت : يا رسول اللّه ادع اللّه أن يجعلني منهم ، قال : أنت من الأولين ... فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت »[٣] .

قال الفريابي : « وكان أول من غزاه معاوية في زمن عثمان بن عفان رحمة اللّه عليهما »[٤] .

قال ابن كثير : « يعني جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها في سنة سبع وعشرين أيام عثمان بن عفان وكانت معهم أم حرام فماتت هناك بقبرص ، ثم

---

(١) أي حديث : لا أشبع اللّه بطنه ؛ السابق ذكره .

(٢) البداية والنهاية [١٢٣/٨] .

(*) وسطه ، وثبج كل شيء وسطه .

(٣) أخرجه البخاري [٢٧٨٨] ، ومسلم [١٩١٢] .

(٤) الشريعة الآجري [٥٠١/٣] .

كان أمير الجيش الثاني ابنه يزيد بن معاوية ولم تدرك أم حرام جيش يزيد هذا وهذا من أعظم دلائل النبوة »[1] .

وقال ابن عبد البر رحمه الله : « وفيه فضل لمعاوية رحمه الله إذ جعل من غزا تحت رايته من الأولين ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحي »[2] .

وعن أم حرام أيضًا قال رسول الله ﷺ : « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا ، قالت أم حرام قلت : يا رسول الله أنا فيهم : قال : « أنت فيهم » ثم قال النبي : « أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » ، فقلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا »[3] .

قال المهلب : « في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر »[4] .

وقال الحافظ : « وقوله : « قد أوجبوا » أي فعلوا فعلًا وجبت لهم به الجنة »[5] .

قال الذهبي : « حسبك بمن يُؤَمِّره عمر ثم عثمان على إقليم - وهو ثغر - فيضبطه ويقوم به أتم قيام ويرضي الناس بسخائه وحلمه »[6] .

وقال ابن تيمية : « وعمر من أعلم الناس بأحوال الرجال وأحذقهم في السياسة وأبعد الناس عن الهوى .. فلم يول معاوية إلا وهو عنده ممن يصلح للإمارة ثم لما توفي زاد عثمان في ولايته »[7] .

---

(١) البداية والنهاية [٢٣٢/٨] .

(٢) التمهيد ، انظر كتابنا فتح البر [٤٤/١] .

(٣) أخرجه البخاري [٢٩٢٤] .

(٤) الفتح [١٢٧/٦] .

(٥) المصدر السابق [١٢٨/٦] .

(٦) السير [١٣٢/٣] .

(٧) منهاج السنة [١٤٢/٨] .

وقال في الفتاوى : « لما مات يزيد بن سفيان في خلافة عمر استعمل أخاه معاوية وكان عمر بن الخطاب من أعظم الناس فراسة وأخبرهم بالرجال وأقومهم بالحق وأعلمهم به حتى قال علي بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنه : كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر »(١) .

وقال أيضًا : « ولولا استحقاقه للإمارة لما أمره »(٢) .

وقال رحمه اللَّه : « وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة وكان رعيته يحبونه وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم »(*) (٣) .

قال شيخ الإسلام : « واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة ؛ وهو أول الملوك ، كان ملكه ملكًا ورحمة كما جاء في الحديث : « يكون الملك نبوة ورحمة ، ثم تكون خلافة ورحمة ، ثم يكون ملك ورحمة ، ثم ملك وجبرية ، ثم ملك عضوض »(٤) وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنه كان خيرًا من ملك غيره »(٥) .

---

(١) الفتاوي [٦٤/٣٥] .

(٢) منهاج السنة [٣٨٢/٤] .

(*) منهاج السنة [٢٤٧/٦] .

(٣) رواه أحمد [٢٤/٦] ، ومسلم [١٨٥٥] .

(٤) رواه الطبراني [٨٨/١١] عن ابن عباس بلفظ قريب وبزيادة . وذكره الهيثمي في المجمع [١٩٠/٥] وقال : رجاله ثقات . وهو في الصحيحة [٣٢٧٠] . وله شاهد نحوه عن حذيفة رواه أحمد [٢٧٣/٤] ، وصححه العراقي ، انظر الصحيحة [٥] وكلام الشيخ الألباني هناك .

(٥) الفتاوى [٤٧٨/٤] .

وقال أيضًا : « وكان يزيد بن أبي سفيان على الشام [illegible] عمر فمات يزيد ابن أبي سفيان فاستعمل عمر معاوية مكان أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وبقي معاوية على ولايته تمام خلافته ، وعمر ورعيته تشكره وتشكر سيرته فيهم وتواليه وتحبه لما رأوا من حلمه وعدله حتى إنه لم يشكه منهم مشتك ، ولا تظلمه منهم متظلم »(١) .

أما خلافته فكانت صحيحة شرعية ، فقد بايعه عدد كبير من الصحابة الكرام .

قال الجوزقاني : « واعلم أحسن اللَّه لنا ولك التوفيق - أن الاعتماد في خلافته على ما فعله الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنهما ، لأنه كان أكبر أولاد علي رضي اللَّه عنه ، وأجمع عليه أصحاب أبيه بعده ، فلما نظر في عاقبة الأمر وما يؤول إليه خلع نفسه وسلم الأمر إلى معاوية وبايع له ، فصار ذلك إجماعًا صحيحًا من غير تأويل ولا مقال ، وكان هذا الفعل من الحسن رضي اللَّه عنه أحد ما استدل به المسلمون على صحة نبوة محمد ﷺ ، لأنه أخبر عما يكون فكان ، وذلك قوله : « إن ابني هذا سيد » الحديث [- ثم ساق الحديث بسنده وهو بتمامه : « إن ابني هذا سيد وعسى اللَّه عز وجل أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين »(٢) ثم قال -] فاستدللنا هذا الحديث على صحة نبوته ﷺ لأنه أخبر عن أمر يكون فكان كما أخبر ، وعلى أن الفئتين كلاهما من المسلمين ، ولم يميز إحداهما على الأخرى بفضل ولا نقص »(٣) .

ذكر الحافظ عبد الغني المقدسي أن يزيد بن معاوية بايعه ستون صحابيًا منهم ابن عمر (٤) .

---

(١) الفتاوى [٤٥٧-٤٥٨] .

(٢) أخرجه البخاري [٢٧٠٤] ، أبو داود [٤٦٦٢] ، الترمذي [٣٧٧٣] ، والنسائي [١٤٠٩] .

(٣) كتاب الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير [ص : ١٠١-١٠٢] .

(٤) قيد الشريد [ص:٧٠] نقلًا عن : يزيد بن معاوية الخليفة المفترى عليه [ص:٤٦] . وانظر كذلك ذيل الطبقات لابن رجب [٣٤/٤] .

قلت : إذا بايع يزيد ستون صحابيًا فلا شك أن من بايع معاوية منهم أضعاف أضعاف هذا العدد . قال الأوزاعي : « أدركت خلافة معاوية عدة من الصحابة منهم أسامة وسعد وجابر وابن عمر وزيد بن ثابت ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد ورافع بن خديج وأبو أُمامة وأنس بن مالك ورجال أكثر وأطيب ممن سمينا بأضعاف مضاعفة كانوا مصابيح الهدى وأوعية العلم حضروا من الكتاب تنزيله ومن الدين جديده وعرفوا من الإسلام ما لم يعرفه غيرهم وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويل القرآن ، ومن التابعين لهم بإحسان ما شاء الله ، منهم المسور بن مخرمة ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الله بن محيرز ، وفي أشباه لهم لم ينزعوا يدًا من جماعة في أمة محمد ﷺ »[1] .

ومن الصحابة أيضًا الحسن بن علي ، وابن عباس ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين ، فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، فلم يبايعوا معاوية رضي الله عنه إلا وقد رأوا فيه شروط الإمامة متوفرة ، ومنها العدالة ، فمن يطعن في عدالة معاوية وإمامته فقد طعن في عدالة هؤلاء الصحابة جميعهم وخوَّنهم وتنقصهم . فمن رضيه هؤلاء لدينهم ودنياهم أَلَا نقبلُهُ ونَرضَى به نحنُ ؟؟ ضَلَلْنَا إذًا وما اهتدينا إن لم نرضَ بمَنْ رضُوا به ، ومن قال لعلهم بايعوا خوفًا فقد سبهم واتهمهم بالجبن وعدم الصدع بالحق ، وهم منزهون عن أدنى شيء يشين دينهم ، وهم القوم المعلوم من سيرتهم الشجاعة والشهامة وعدم الخوف في الله لومة لائم ولو نشروا بمناشير الحديد نصفين ، فمن استن بسنتهم نجا وسلم ، ومن خالفهم واتبع غير سبيلهم ضَلَّ وأَضل .

وفي مبايعة سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما لمعاوية رد بليغ وإلقام حجر في فم الروافض أعداء الله ،

---

(١) تاريخ أبي زرعة [١٨٩/١] ، تاريخ دمشق المختصر ، [٤٧/٢٥] ، الاستيعاب [١٤٢٠/٣] مختصرًا ، البداية [١٣٦/٨] .

والحسن رضي اللّٰه عنه من الأئمة المعصومين عندهم الذين لا يجوز الخطأ في حقهم .
فَلِمَ يا تُرى خَالفُوه ووسَمُوه بمسودِّ وجوه المؤمنين ؟! إنه الهوى والضلال والزندقة .

وفي هذا أيضًا علم من أعلام النبوة إذ قال ﷺ : « ابني هذا سيد ، ولعل اللّٰه يصلح به بين فئتين من المسلمين »[١] ، وفي قوله ﷺ : « من المسلمين » رد على الخوارج كلاب أهل النار الذين كَفرّوا عليًا وأصحابه ، ومعاويةَ وأصحابَه ، عافانا اللّٰه وإياكم من الأهواء المضلة .

وعن ابن أبي مليكة : « قيل لابن عباس هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة . قال : إنه فقيه »[٢] .

وفي رواية أخرى عند البخاري أيضًا : « دعه فإنه قد صحب رسول اللّٰه ﷺ ، وفي أخرى عند المروزي في كتاب « الوتر » كما ذكر الحافظ من طريق علي ابن عبد اللّٰه بن عباس قال : بت مع أبي عند معاوية فرأيته أوتر بركعة ، فذكرت ذلك لأبي فقال : يا بني ، هو أعلم »[٣] .

وعن معاوية أنه قال : إنكم لتصلون صلاة ، لقد صحبنا النبي ﷺ فما رأيناه يصليها ، ولقد نهى عنهما - يعني الركعتين بعد العصر »[٤] .

أورد البخاري هذه الآثار في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه « باب ذكر معاوية رضي اللّٰه عنه » ، وأراد بذلك دفع رؤوس الروافض وغيظهم لأن ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير وهذا منه رضي اللّٰه عنه يدل على نظر ثاقب وفقه دقيق[٥] .

---

(١) تقدم تخريجه [ص : ١٣٦] .
(٢) البخاري [٣٧٦٥] . والرواية التي بعدها [٣٧٦٤] .
(٣) الفتح [١٣٠/٧] . والموجود في مختصر المقريزي [ص : ١٦٠] عن عطاء وفيه « أصاب معاوية » .
(٤) أخرجه البخاري [٣٧٦٦] .
(٥) ذكر ذلك الحافظ في الفتح [١٣١/٧] .

وعن ابن عباس عن معاوية قال له : « قصرت عن رسول اللَّه ﷺ بمشقص »[1] .

قال الحافظ في الفتح : « قوله بمشقص : بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح القاف وآخره صاد مهملة ، قال القزاز : هو نصل عريض يرمى به الوحش ، وقال صاحب « المحكم » : هو الطويل من النصال وليس بعريض وكذا قال أبو عبيد ، واللَّه أعلم » .

وقال أبو الدرداء : « ما رأيت أحدًا بعد رسول اللَّه ﷺ أشبه صلاة برسول اللَّه من أميركم هذا - يعني معاوية - »[2] .

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة بعد ما أورد أثر ابن عباس السابق ، وأثر أبي الدرداء هذا : « فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه والشاهد بالفقه ابن عباس وبحسن الصلاة أبو الدرداء وهما هما والآثار الموافقة لهذا كثيرة »[3] .

وقال أيضًا : « من المعلوم من سيرة معاوية أنه كان من أحلم الناس وأصبرهم على من يؤذيه ... »[4] .

---

(١) أخرجه البخارى [١٧٣٠] ، ومسلم [١٦٤٦] ، وأبو داود [١٨٠٢] ، والنسائي [٢٧٣٦] وفي رواية عند أحمد [٩٥/٤] ، والطبراني [٣١٠/١٩] وفيها خصيف ، قال الحافظ في التقريب : « صدوق سيىء الحفظ خلط بآخرة ورمي بالإرجاء » عن مجاهد وعطاء أنهما قالا لابن عباس : ما بلغنا هذا إلا عن معاوية ، فقال ابن عباس : ما كان معاوية على رسول اللَّه ﷺ متهمًا » . وقال ابن سيرين أيضًا فيما رواه الخلال في السنة [ص:٤٤٠] : « كان معاوية لا يتهم في الحديث على رسول اللَّه ﷺ » .

(٢) قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير قيس بن الحرث المدحجي وهو ثقة [٣٥٧/٩] .

(٣) منهاج السنة [٢٣٥/٦] .

(٤) المصدر السابق [٤٤٥/٤] .

قال الإمام أحمد : « كان معاوية كريمًا حليمًا »[(١)] .

وقال أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي : معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ فإذ كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه [(٢)] .

وقال الفضل بن زياد : سمعت أبا عبد اللَّه يسأل عن رجل تنقص معاوية وعمرو ابن العاص أيقال له رافضي ؟ فقال : إنه لم يجترىء عليهما ألا وله خبيئة سوء ، ما انتقص أحد أحدًا من الصحابة إلا وله داخلة سوء [(٣)] .

وعن قتادة قال : « قلت للحسن : إن قومًا يشهدون على معاوية رحمه اللَّه أنه في النار ، قال : لعنهم اللَّه »[(٤)] .

وقال أبو بكر المروزي : « قلت لأبي عبد اللَّه أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز فقال : معاوية أفضل ، لسنا نقيس بأصحاب رسول اللَّه ﷺ أحدًا ، قال النبي ﷺ : « خير الناس قرني الذي بعثت فيهم » .

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري : « سألت أبا أُسامة أيما كان أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحدًا »[(٥)] .

وقال محمد بن عبد اللَّه بن عمار الموصلي وغيره : سُئل المعافى بن عمران : أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فغضب وقال للسائل : أتجعل رجلًا من الصحابة مثل رجل من التابعين ! معاوية صاحبه ، وصهره ، وكاتبه ، وأمينه على وحي اللَّه [(٦)] .

---

(١) المنهاج أيضًا [٤/٤٤٥] .

(٢) تاريخ بغداد [١/٢٠٩] ، والبداية [٨/١٤٢] .

(٣) البداية [٨/١٤٢] .

(٤) الشريعة [٣/٥٢١] .

(٥) جامع بيان العلم وفضله [٢/١١٧٣] .

(٦) اللالكائي [٨/١٥٣١] ، الشريعة [١/٥٢٠] ، تاريخ بغداد [١/٢٠٩] ، الشفا [٢/٦١٧] ، البداية والنهاية [٨/١٤٢] .

وسئل عبد اللّٰه بن المبارك : « عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية ؟ قال : تراب دخل في أنف معاوية في بعض مشاهد النبي ﷺ أفضل من عمر بن عبد العزيز »[1] .

قال ابن العماد : « سئل الإمام أحمد بن حنبل رضي اللّٰه عنه : أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لغبار لحق بأنف جواد معاوية بين يدي رسول اللّٰه ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز رضي اللّٰه تعالى عنه وأماتنا على محبته »[2] .

وفي رواية قال بشر بن الحارث : سئل المعافى وأنا أسمع أو سألته : معاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : كان معاوية أفضل من ستمائة مثل عمر ابن عبد العزيز[3] .

قال ابن كثير في اختصار علوم الحديث : « وقال بعضهم في معاوية وعمر بن عبد العزيز : ليوم شهده معاوية مع رسول اللّٰه ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز وأهل بيته »[4] .

وروى الآجري عن أبي أُسامة حماد بن أُسامة بن زيد وقد قيل له : « أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : أصحاب رسول اللّٰه ﷺ لا يقاس بهم أحد »[5] .

قال محمد بن يحيى بن سعيد : سئل ابن المبارك عن معاوية فقال : ما أقول في رجل قال رسول اللّٰه ﷺ سمع اللّٰه لمن حمده فقال خلفه ربنا ولك الحمد ، فقيل له : أيهما أفضل هو أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لتراب في منخري معاوية مع رسول اللّٰه ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز[6] .

---

(١) الحجة في بيان المحجة [٣٧٧/٢] لأبي القاسم الأصبهاني .

(٢) شذرات الذهب [٦٥/١] .

(٣) السنة للخلال [٤٣٥] .

(٤) الباعث الحثيث [١٨١] .

(٥) الشريعة [٥٢٠/٣] ، ونحوه في السنة للخلال [٤٣٥/١] .

(٦) البداية [١٤٢/٨] ، ونحوه في الشريعة [٥٢٠/٣] .

قال قتادة : « لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي »

وورد عن جماعة من السلف أنهم ذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا : في حلمه ؟ قال : لا واللَّه بل في عدله [2] .

عن همام بن منبه قال : سمعت ابن عباس يقول : « ما رأيت رجلًا كان أخلق بالملك من معاوية »[3] .

لما نعي معاوية قال عبد اللَّه بن الزبير ذهب واللَّه عز بني أمية ، كان واللَّه كما قال الشاعر :

ركوب المنابر ذو همة ... معن بخطبته مجهر

تثوب إليه هوادي الكلام ... إذا ضل خطبته المهمر

ولما بلغ نعيه عبد اللَّه بن العباس قال :

جبل تصدع ثم مال بركنه ... في البحر لارتقت عليه الأبحر[4]

قال ابن كثير : وقال قبيصة بن جابر : « ما رأيت أحدًا أعظم حلمًا ولا أكثر سؤددًا ولا أبعد أناة ولا ألين مخرجًا ولا أرحب باعًا بالمعروف من معاوية » .

« وقال بعضهم : أسمعَ رجلٌ معاويةَ كلامًا سيئًا شديدًا فقيل له : لو سطوت عليه ؟ فقال : إني لأستحي من اللَّه أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي »[5] .

---

(١) السنة للخلال [٤٣٨] ، منهاج السنة [٢٣٣/٦] .

(٢) منهاج السنة [٢٣٣/٦] .

(٣) السنة للخلال [٤٤٠] ، الطبري في التاريخ [٢٦٩/٣] ، والبداية [١٣٧/٨] .

(٤) عن أبي الفرج الجريري المتوفى سنة ٣٩٠هـ ، فى كتابه : « الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي » [٥١/٤] .

(٥) البداية [١٣٨/٨] .

وقال قبيصة كذلك : « ألا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلًا أفقه فقهًا ولا أحسن مدارسة منه ، ثم صحبت طلحة بن عبيد اللَّه فما رأيت رجلًا أعطى للجزيل من غير مسألة منه ، ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلًا أحب رفيقًا ولا أشبه سريرة بعلانية منه »(١) .

سأل رجل الإمام أحمد : « يا أبا عبد اللَّه لي خال ذُكر أنه ينتقص معاوية وربما أكلت معه ، فقال أبو عبد اللَّه مبادرًا : لا تأكل معه »(٢) .

وقال هارون الحمال : « سمعت أحمد بن حنبل وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد اللَّه ، إن هاهنا رجل يفضِّل عمر بن عبد العزيز على معاوية بن أبي سفيان فقال : أحمد لا تجالسه ولا تؤاكله ولا تشاربه وإذا مرض فلا تعده »(٣) .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هاني النيسابوري صاحب الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٧٥هـ : « سمعت أبا عبد اللَّه يسأل عن الذي يشتم معاوية نصلي خلفه ؟ قال لا ولا كرامة »(٤) .

قال سعد بن أبي وقاص وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة : « ما رأيت أحدًا بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب ، يعني معاوية »(٥) .

ومن الحكايات الجميلة التي وردت عن معاوية رضي اللَّه عنه في خشيته الشديدة من اللَّه أن شفيا الأصبحي دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكت وخلا قلت له : أنشدك بحق وبحق لما حدثتني

---

(١) تاريخ الطبري [٣/٢٦٩] .

(٢) السنة للخلال [٤٤٨] .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب [٣/١٣٣] فكم من المنتقصين نؤاكلهم ونشاربهم ونبش في وجوههم واللَّه المستعان .

(٤) طبقات الحنابلة [١/١٠٨] .

(٥) البداية [٨/١٣٦] .

حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته ، فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة . فمكث قليلًا ثم أفاق ، فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة (*) أخرى ، ثم أفاق فمسح وجهه فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ، ثم مال خارًا على وجهه فأسندته علي طويلًا ، ثم أفاق فقال : حدثني رسول اللَّه ﷺ أن اللَّه تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية ؛ فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتتل في سبيل اللَّه ، ورجل كثير المال ، فيقول اللَّه للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يارب ، قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول اللَّه له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول اللَّه : بل أردت أن يقال إن فلانًا قارئ فقد قيل ذاك ويؤتى بصاحب المال فيقول اللَّه له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يارب . قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق ، فيقول اللَّه له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول اللَّه تعالى : بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك ، ويؤتى بالذي قتل في سبيل اللَّه ، فيقول اللَّه له : فبماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت . فيقول اللَّه تعالى له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول اللَّه : بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك ، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ على ركبتي فقال : يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تُسعَّر بهم النارُ يومَ القيامة .

(*) شهق حتى كاد يغشى عليه .

وقال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبة بن مسلم أن شفيا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا

قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافًا لمعاوية فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة ، فقال معاوية : قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديدًا حتى ظننا أنه هالك ، وقلنا : قد جاءنا هذا الرجل بشر ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال : صدق الله ورسوله : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾(١) [هود :١٥] .

ومِنْ تواضعه رضي الله عنه عن أبي مجلز قال : « خرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر ، وجلس ابن الزبير ، فقال معاوية لابن عامر : اجلس ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار »(٢) .

---

(١) رواه الترمذي [٤/٥١٠/٢٣٨٢] وقال حسن غريب . واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه [٤٠٨] ، والحاكم [١/٤١٨] مختصرا إلى قوله : « أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة » وصححه ووافقه الذهبي . وابن خزيمة في صحيحه [٢٤٨٢] وفيه قصة معاوية إلا أنها مختصرة . وصححه الشيخ الألباني فى تعليقه على ابن خزيمة وفي صحيح الترغيب . ورواه مسلم [١٨٠٥] ، والنسائى [٦/٢٣-٢٤] مختصرًا من طريق أخرى وليس فيه قصة معاوية .

(٢) رواه أحمد [٤/٩١] ، وأبو داود [٥٢٢٩] ، والبخاري في الأدب [٩٧٧] ، والترمذى [٢٧٥٥] وقال : حسن . وفيه ابن صفوان بدل ابن عامر ، قال أبو زرعة كما في العلل لابن أبي حاتم [٢/٣٣٦] : « حديث حماد أصح يعني قيام ابن عامر بدل ابن صفوان » . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد والصحيحة [٣٥٧] .

وروى الإمام أحمد بسنده إلى علي بن أبي حملة عن أبيه قال : « رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه قميص مرقوع »[1] .

وعن يونس بن ميسر الحميري قال : « رأيت معاوية في سوق دمشق ، وهو مردف وراءه وصيفًا ، وعليه قميص مرقوع الجيب ، يسير في أسواق دمشق » .

ومما أثر عنه رضي اللّه عنه في الذب عن الكتاب والسنة وصيانتها مما دس فيها من المكذوبات والموضوعات : « عن محمد بن جبير بن مطعم أن معاوية قام فأثنى على اللّه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغني أن رجالًا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب اللّه ، ولا تؤثر عن رسول اللّه ﷺ أولئك جهالكم »[2] .

---

(١) الزهد [١٧٢] .

(٢) أعلام الموقعين [١/٢٥٣] .

أحاديث معاوية عند المحدثين وذكر من بوَّب له في المناقب ومَن صنَّف فيه مصنَّفًا

أخرج أهل الحديث لمعاوية رضي اللَّه عنه ١٦٣ حديثًا [١] .

وخصص له الإمام أحمد في كتابه مسندًا خاصًا ، وروى له أكثر من مائة حديث . وكذا أبو يعلى الموصلي في مسنده ، والحميدي في مسنده . والطبراني في المعجم الكبير وغيرهم .

وقال الذهبي : « مسنده في مسند بقي مئة وثلاثة وستون حديثًا ، وقد عمل الأهوازي مسنده في مجلد واتفق له البخاري ومسلم على أربعة ، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة »[٢] .

أخرج له أصحاب الكتب الستة ستون حديثًا .

بعض الذين رووا عن معاوية رضي اللَّه تعالى عنه : عبد اللَّه بن عباس ، وجرير ابن عبد اللَّه البجلي ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو عبد اللَّه الصنابحي ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو الدرداء ، وابن عمر ، وعبد اللَّه بن الزبير ، والنعمان بن بشير ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو الطفيل ، والسائب بن يزيد ، وعبد اللَّه بن عمرو ابن العاص ، ووائل بن حجر ، ومعاوية بن خديج ، وسبرة بن معبد ، وعبد الرحمن ابن شبل ، وأسيد بن ظهير ، وأبو عامر الأشعري ، ويزيد بن جارية رضي اللَّه عنهم والحسن البصري ، وخالد بن معدان ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد المقبري ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعطاء بن أبي رباح ، ومحمد بن جبير بن مطعم ،

---

(١) كما في مسند بقي بن مخلد [المقدمة ص:٨٢] وأسماء الصحابة الرواة لابن حزم [ص:٥٥] ، والتلقيح [ص:٣٦٤] لابن الجوزي .

(٢) السير [١٦٢/٣] .

ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، ومطرف بن عبد اللّه بن الشخير وهمام بن منبه ، وأبو إدريس الخولاني ، وعروة ابن الزبير ، وسالم بن عبد اللّه بن عمر ، ومجاهد ، وأبو قلابة ، ومكحول ، وعطاء بن يسار ، وبهز بن حكيم وغيرهم كثير[1] .

بوب البخاري له في المناقب ضمن الصحيح ، وكذا الترمذي في السنن والإمام أحمد في فضائل الصحابة . وابن الأثير في جامع الأصول [١٠٧/٩] ، والهيثمي في المناقب ضمن مجمع الزوائد باب : ما جاء في معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه تعالى عنهما .

وصنف ابن أبي عاصم جزءًا في مناقبه سماه « فضائل معاوية » كما في المعجم المؤسس [٢٨٧/١] وأبو عمر غلام أيضًا وأبو بكر النقاش أيضًا [2] .

وقال السيوطي : « وقد أفرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفًا في حلم معاوية »[3] .

وكتب أحمد بن عبد الدائم « فضائل معاوية » الدرر الكامنة [٢٠/١] .

وصنف أبو القاسم عبد اللّه بن محمد السقطي كتابًا سماه « فضائل معاوية » ذكره الروداني في فهرسه « صلة الخلف بموصول السلف » [ص:٣١٥] وساق سنده إلى مصنفه ، كما ذكر كتاب ابن أبي عاصم السابق ذكره ورواه أيضًا بسنده إلى مصنفه . وكذلك كتاب ابن أبي الدنيا [ص:٢١٦] .

وألف الهيتمي رسالة في الدفاع عن معاوية رضي اللّه عنه سماها : « تطهير الجنان واللسان عن الخطر والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان » وقد طبعت

---

(١) انظر في تهذيب الكمال [١٧٧/٢٨-١٧٨] ، وأُسد الغابة [٢٠٤/٥] ، والإصابة [٢٣٣/٩] ومعجم الطبراني في الكبير [جـ ١٩] .

(٢) الفتح [١٣١/٧] .

(٣) تاريخ الخلفاء [١٩٥] ، والدرر الكامنة [٢٢٠/١] .

ملحقة بالصواعق المحرقة . وكتب أبو عمر الزاهد جزءًا في فضائل معاوية [١] وكذلك أبو الفتح القواس[٢] .

وكتب في سيرته عوانة بن الحكم[٣] وكذلك الأهوازي[٤] .

وكتب القاضي أبو يعلى الفراء « تبرئة معاوية » نزهه عن الظلم في مطالبته بدم عثمان رضي اللَّه عنهما [٥] .

وقال اللالكائي : « سياق ما روي عن النبي ﷺ في فضائل أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان رضي اللَّه عنهما »[٦] .

وفي السنة للخلال بعدما أثبت خلافة علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال : ذكر أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان وخلافته رضوان اللَّه عليه [٧] .

وفي الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني ، تحت باب فضائل الصحابة أورد فصولًا في مناقب الخلفاء الأربعة ثم عائشة رضي اللَّه عنهم ثم أتبعها بفصل عنوانه : « فصل في فضل معاوية رضي اللَّه عنه »[٨] .

وفي الشريعة عقد الإمام الآجري كتابًا سماه : « فضائل معاوية بن أبي سفيان رضي اللَّه عنه » ثم أورد تحته أبوابًا في فضائله وهي :

---

(١) السير [١٥/٥١٠] ، وطبقات الحنابلة [٢/٦٩] .

(٢) السير [١٦/٤٧٥] .

(٣) السير [٧/٢٠١] .

(٤) السير [١٨/١٤] .

(٥) الدر المنضد للعليمي [١/١٩٩] ، وذكره ابن رجب في ذيل الطبقات [٣/١٧٧] باسم : « تنزيه معاوية بن أبي سفيان المقنع في النيات »

(٦) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة [٨/١٥٢٤] .

(٧) السنة للخلال [ص:٤٣١] .

(٨) [٢/٣٧٦] .

- باب ذكر دعاء النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه .
- بشارة النبي ﷺ لمعاوية رحمه الله بالجنة .
- ذكر مصاهرة النبي ﷺ لمعاوية بأخته أم حبيبة رحمه الله .
- ذكر استكتاب النبي ﷺ لمعاوية رحمه الله بأمر من الله عز وجل .
- ذكر مشاورة النبي ﷺ لمعاوية رحمه الله .
- ذكر صحبة معاوية رحمه الله للنبي ﷺ ومنزلته عنده .
- ذكر تواضع معاوية رحمه الله في خلافته .
- ذكر تعظيم معاوية لأهل بيت رسول الله ﷺ وإكرامه إياهم .
- ذكر وصية النبي ﷺ لمعاوية رضي الله عنه إن وليت فاعدل .

وفي الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي « كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة ، رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين » ، « ذكر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه »(١) .

وفي البداية والنهاية لابن كثير فصل بعنوان : « فضل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه »(٢) ، وفي الصفحة [١٢٠] منه بعنوان : « وهذه ترجمة معاوية وذكر شيء من أيامه وما ورد في مناقبه وفضائله » .

وعقد الجوزقاني المتوفى سنة ٥٤٣ في كتابه : « الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير » بابًا باسم : « فضائل طلحة والزبير ومعاوية وعمرو » [ص:٩٢] .

وكذا الحافظ البوصيري في كتابه إتحاف السادة المهرة ، ذكره ضمن كتاب المناقب [٢٧٩/٥] . وعقد بابًا في فضله الحافظ ابن حجر في كتابه المطالب العالية [١٠٨/٤] .

---

(١) الإحسان [١٩١/١٦] .

(٢) البداية والنهاية [٢١/٨] .

بعض أصحاب كُتب التراجم والرجال
الذين ترجموا لمعاوية ولم يذكروه إلا بخير

البخاري في التاريخ الكبير [٣٢٦/٧] .

ابن سعد في الطبقات الكبرى [٤٠٦/٧] .

ابن جرير الطبري في التاريخ [٢٦٠/٣] .

الخطيب في تاريخ بغداد [٢٠٧/١] .

ابن عساكر في تاريخ دمشق [المختصر ٣٩٩/٢٤] .

ابن قتيبة في المعارف [١٥٢] .

ابن الأثير في أسد الغابة [٢٠١/٥] .

ابن الأثير في الكامل [٥/٤] .

ابن الجوزي في المنتظم [٣٣٢/٥] .

ابن عبد البر في الاستيعاب [١٣٤/١٠] .

ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [٣٧٧/٨] .

ابن حجر في الإصابة [١٥١/٦] .

الذهبي في سير أعلام النبلاء [١١٩/٣] .

المزي في تهذيب الكمال [١٧٦/٢٨] .

ابن حجر في تهذيب تهذيب [٢٠٧/١٠] .

ابن حبان في الثقات [٣٧٣/٣] .

ابن كثير في البداية والنهاية [١٢٠/٨] وفي جامع المسانيد [٥٦٨/١١] .

ابن العماد في شذرات الذهب [٦٥/١] .

السيوطي في تاريخ الخلفاء [١٩٤] .

ابن دقمان في الجوهر الثمين [٧٣] . وغيرهم كثير .

أحاديث باطلة لا تصح
في شأن معاوية ذمًا ومدحًا

قال ابن الجوزي : « قد تعصب قوم ممن يدعي السنة فوضعوا في فضله أحاديث ليغضبوا الرافضة وتعصب قوم من الرافضة فوضعوا في ذمه أحاديث ، وكلا الفريقين على الخطأ القبيح »[1] .

بعض ما جاء من الأحاديث الواهية في ذمه :

« اللَّهُمَّ اركسهما في الفتنة ركسًا ، ودعهما في النار دعًا » أي معاوية وعمرو ابن العاص .

« يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي » فطلع معاوية .

« قام النبي ﷺ خطيبًا ، فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة فقال ﷺ : « لعن اللَّه القائد والمقود » .

هذا من أسمج وأقبح الكذب ، فمعاوية لم يتزوج إلا في زمن عمر ، وولد له يزيد في زمن عثمان سنة سبع وعشرين من الهجرة .

« إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » .

بعض ما جاء من الأحاديث الواهية في مدحه :

« كاد معاوية أن يبعث نبيًا من حلمه وائتمانه على كلام ربي » .

« هنيئًا لك يا معاوية ، لقد أصبحت أمينًا على خبر السماء » .

« يحشر معاوية وعليه حلة من نور » .

« يبعث معاوية وعليه رداء من نور الإيمان » .

« يخرج معاوية من قبره عليه رداء من سندس مرصع بالدر والياقوت » .

« الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية » .

---

(١) الموضوعات [١٥/٢] .

وغير ذلك كثير ، راجع كتب الموضوعات والأباطيل ترى العجب .

فانظر رحمك اللَّه إلى هذا الغلو المقيت وذاك الجفاء القبيح ، الروافض يجعلون معاوية من الكفار والزنادقة الملعونين والنواصب يرفعونه إلى عليين ودرجة النبيين ، وصدق من قال : يضيع هذا الدين بين الغالي فيه والجافي عنه . ورحم اللَّه أهل السنة السلفيين الذين عرفوا للصحابة قدرهم وأنزلوا كل واحد منزلته ، فتكلموا بعدل وإنصاف فكانوا حقًّا أعلم الناس بالحق وأرحمهم بالخلق .

مقتطفات من أقوال العلماء
في معاوية رضي الله عنه

قال الآجري في الشريعة [٤٩٦/٣] : « معاوية رحمه الله كاتب رسول الله ﷺ على وحي الله عز وجل وهو القرآن بأمر الله عز وجل وصاحب رسول الله ﷺ ومن دعا له النبى صلى الله عليه وسلم أن يقيه العذاب ودعا له أن يعلمه الله الكتاب ويمكن له في البلاد وأن يجعله هاديًا مهديًا » . إلى أن قال : « وهو ممن قال الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ [التحريم : ٨] فقد ضمن الله الكريم له أن لا يخزيه لأنه ممن آمن برسول الله ﷺ » .

وقال الإمام ابن بطة في الإبانة الصغرى [ص:٢٩٩] : « تترحم على أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أخي أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ خال المؤمنين أجمعين وكاتب الوحي وتذكر فضائله » .

وقال الجوزقاني في كتابه « الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير » [ص:١٠٠-١٠١] : « اعلم أن معاوية خال المؤمنين وكاتب الوحي المبين المنزل من عند رب العالمين على رسوله محمد الأمين صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي يجمعه ورسول الله ﷺ النسب من عبد مناف » .

قال النووي : « وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء رضي الله عنه »[١] .

قال ابن عساكر : « خال المؤمنين ، وكاتب وحي رب العالمين »[٢] .

---

(١) في شرح مسلم [١٤٩/١٥] .

(٢) في تاريخ دمشق [المختصر ٣٩٩/٢٤] .

قال أبو نعيم الحافظ : « كان من الكتبة الحسبة الفصحة » . ثم قال : « كان حليمًا وقورًا »[1] .

قال ابن الأثير : « وشهد مع رسول اللَّه حُنيْنًا ، وأعطاه من غنائم هوازن مائة بعير ، وأربعين أوقية وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ، وحسن إسلامهما ، وكتب لرسول اللَّه ﷺ »[2] .

قال ابن العماد : « ولي الشام لعمر وعثمان عشرين سنة ، وتملكها بعد علي عشرين إلا شهرًا ، وسار بالرعية سيرة جميلة ، وكان من دهاة العرب وحلمائها ، يُضرب به المثل ، وهو أحد كتبة الوحي ، وهو الميزان في حب الصحابة ومفتاح الصحابة »[3] .

قال الذهبي في السير : « أمير المؤمنين ، ملك الإسلام »[4] .

وقال أيضًا : « كان محببًا إلى رعيته ، عمل نيابة الشام عشرين سنة ، والخلافة عشرين سنة ، ولم يهجه أحد في دولته بل دانت له الأمم وحكم على العرب والعجم ، وكان ملكه على الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان وفارس والجزيرة واليمن والمغرب وغير ذلك »[5] .

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني في « جزء البطاقة » بعد أن ساق بسنده إلى العرباض بن سارية رضي اللَّه عنه قوله ﷺ : « اللَّهُمَّ علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » قال : وقد روى عن معاوية رضي اللَّه عنه جماعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ . ثم ساق أسماءهم وأحاديثهم إلى أن قال : وروى عنه

---

(١) مختصر تاريخ دمشق [٢٤/٤٠٠-٤٠١] .

(٢) أُسد الغابة [٤/٤٣٣] .

(٣) شذرات الذهب [١/٦٥] .

(٤) السير [٣/١٢٠] .

(٥) السير [٣/١٣٣] .

وجوب التابعين أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ، وهذه منزلة عظيمة ودرجة رفيعة شريفة ، ونسأل اللَّه حُسن التوفيق والسلامة في الدين وبه نستعين »[1] .

قال ابن كثير : « خال المؤمنين وكاتب وحي رسول رب العالمين »[2] .

وقال : « وكان أول ملك في الإسلام واستمر في الملك إلى سنة ستين توفي فيها بدمشق ، عن ثمانين سنة رحمه اللَّه ، ورضي عنه ، وقد كان حليمًا وقورًا رئيسًا سيدًا له مكارم ، وفضائل ومآثر ... »[3] اهـ .

وقال ابن أبي العز شارح الطحاوية : « وأول ملوك المسلمين معاوية ، وهو خير ملوك المسلمين »[4] .

قال الحافظ : « أمير المؤمنين »[5] .

وذكره أيضًا ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد وأثنى عليه وسماه خال المؤمنين ليرد على الروافض أعداء اللَّه [6] .

قال ابن دقمان : « كان رضي اللَّه عنه وافر الحلم عظيم الهيبة ، مليح الشكل وافر الحشمة ، يلبس الثياب الفاخرة ، ويركب الخيل المسومة ، وكان حليمًا كريمًا محببًا إلى رعيته كبير الشأن »[7] .

قال ابن خلدون : « وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم ، فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة »[8] .

---

(١) [ص:٥٥-٦٥] .

(٢) البداية والنهاية [٨/١٢٠] .

(٣) في كتابه جامع المسانيد والسنن » [١١/٥٦٨] .

(٤) شرح الطحاوية [٤٨٣] .

(٥) الإصابة [٩/٢٣١] .

(٦) شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين [ص:١٠٧] .

(٧) الجوهر الثمين [٧٥] .

(٨) العبر [٢/١١٤٠] .

أعماله رضي اللّٰه تعالى عنه

اتسعت رقعة العالم الإسلامي في عهده رضي اللّٰه عنه من أفريقية غربًا إلى بلاد الهند شرقًا وإلى حدود القسطنطينية شمالًا ، وكسرت شوكة الروم في عهده ، وفتح كثيرًا من البلدان كقبرص وقيسارية .

قال ابن كثير ملخصًا حالة العالم الإسلامى في عهده رضي اللّٰه تعالى عنه : « والجهاد في بلاد العدو قائم ، وكلمة اللّٰه عالية والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو »(1) .

وقال أيضًا : « وكان يغزو الروم في كل سنة مرتين ، مرة في الصيف ومرة في الشتاء ، ويأمر رجلًا من قومه فيحج بالناس وحج هو سنة خمسين وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين ، وفيها أو في التي بعدها أغزاه بلاد الروم فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية ، وقد ثبت في الصحيح [أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم] »(2) .

قال سعيد بن عبد العزيز : « لما قتل عثمان واختلف الناس لم يكن للناس غازية ولا صائفة (*) حتى اجتمعت الأمة على معاوية سنة أربعين ، وسموها سنة الجماعة » .

وقال أيضًا : « فأغزا معاوية الصوائف وشتاهم بأرض الروم ست عشرة صائفة تصيف بها وتشتوا ثم تقفل وتدخل معقبتها ، ثم أغزاهم معاوية ابنه يزيد في سنة خمس وخمسين في جماعة من أصحاب رسول اللّٰه ﷺ في البر والبحر حتى جاز بهم الخليج وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها ثم قفل بهم راجعًا إلى الشام وكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال : شد خناق الروم »(3) .

---

(1) البداية [١٢٢/٨] .

(2) المصدر نفسه [١٢٩/٨] ، والحديث أخرجه البخاري [٢٩٢٤] وفيه « مدينة قيصر » .

(*) الغزوة في الصيف .

(3) تاريخ أبي زرعة [١٨٨/١] ، البداية [١٣٦/٨] .

وهو مؤسس أول أسطول إسلامي بحري وبلغ ١٧٠٠ سفينة في عهده ، وقد أسس دارًا للصناعة البحرية في عكا ، ودارًا أخرى لصناعة السفن البحرية في جزيرة الروضة بمصر عام ٥٤هـ . وأسس مصلحة الشرطة وأنشأ البريد ووضع ديوان الخاتم .

وغيرها كثير انظرها في كتب التواريخ والتراجم .

كمل المقصود وربنا المحمود ، فما كان فيه من الصواب فمن اللّٰه ، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان ، ورحم اللّٰه القائل :

وإن تجد عيبًا فسد الخـــللا فجل من لا عيب فيه وعـلا

ومن قال :

وما بها من خطـأ ومن خلل أذنت في إصـلاحه لمن فعل

لكن بشرط العلم والإنصاف فذا وذا من أجمل الأوصاف

واللّٰه يهـــدي سبل الســـلام ســـبحانه بحبله اعتصـــام

وصلى اللّٰه وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



فهرس الموضوعات

رقم الإيداع ٧٢٢٩/١٩٩٩

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

سلسلة العقائد السلفية

هذه السلسلة .. لماذا ؟

قال اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ . [النساء : ٥٩] .

قال ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه : « إنَّ اللّه نظر فى قلوب العباد ، فوجدَ قلبَ محمَّدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد ، فاصطفاهُ لنفسه ، فابتعثه برسالته ، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيَّه ، يقاتِلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنًا ؛ فهو عند اللّه حسنٌ ، وما رأوْهُ سيئًا ؛ فهو عند اللّه سيىء » .

وقال ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما : « مَن كان مستنّاً ؛ فليستنَّ بمَن قد مات ، أولئك أصحاب محمَّد ﷺ ، كانوا خيرَ هذه الأمة ؛ أبرّها قلوبًا ، وأعمقَها علمًا ، وأقلَّها تكلُّفًا ، قومٌ اختارهم اللّه لصحبة نبيّه ﷺ ، ونقلِ دينه ، فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم ؛ فهم أصحاب محمَّدٍ ﷺ ، كانوا على الهدى المستقيم ، واللّهِ ربِّ الكعبة » .

وامتثالًا لأمر اللّه تعالى وطاعة لرسوله ﷺ ، وعلى نهج سلفنا الصالح ، وبعون من اللّه وحده تُصدر هذه السلسلة المباركة من عقائد السلف الصالح . وصلِّ اللّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . والحمد للّه رب العالمين .

عبد اللّه حجاج

مكتبة التراث الإسلامى